صورة الآخر في الرّواية العربيّة

الموقِفُ / الصَّوتُ / الصَّدى

دراسة نقدية بقلم

الدكتور

على عبد الوهاب مطاوع

أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات بني سويف

توقيع...

صورة الآخر/ تمثيلاتُ الآخر/ معرفة الآخر/ الإحساس بالآخر/ مواجهة الآخر/ الحوار مع الآخر.. آفاق معرفية لم تُسفر حتى اليوم عن مفهوم أو مصطلح تستقر عليه الأوساط الثقافية.. يجأر بها الخطاب الفكري العربي في المعاصرة. لكن والعربي مهموم غارق في ذاته فقط، يغفل فِعل الآخر فينا، بل يجهل حقيقته والتعامل معه؛ وقد استوعبنا هو بوعيه، وتعَقله، وثورته المعلوماتية. وحين يُفكر الآخر فينا بهذه العقلانية، ونحن نفكر في ذواتنا فقط بصوتنا المُشَوّش القطرى.. ساعتها تحدث الصَّدمة الكبرى، ولكن لمن؟!!

الصفحات التالية تكشف جانبا من هذا الموقف، وتَبُوح من خلال فنّ السَّرد الروائي العربي بمن أيّهما المصدوم/ المأزوم.. الذات العربية، أم الآخر/ الغرب.

تقديم...

احتل الآخر منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي – ومازال– مكانة معلومة و بارزةً في الوجود العربي، و كان محوراً رئيساً من محاور تغير وتبدل وتحول أحوال حيواته .. الاجتماعية، والسياسية، والثقافية ، والإبداعية. لذلك فان الحديث فيه وعنه حديث شاق ومؤلم لأسباب عديدة في مقدمتها حضور الآخر بصورة بشعة واستفزازية قمعية في حياتنا العربية المعاصرة بشتى وجوهه المرفوضة والرديئة، يقابل ذلك إخفاق المجتمعات العربية في التكيف مع سياساته الاستعمارية المهيمنة علي الأرض والعقل، أو مجاراته. لكنه أفلح مؤخراً في صياغة بعض العقول العربية صياغة أوروبية ساعدت إلي حد كبير في تغريب مجتمعاتها بعد أن شيدت صرح مشروعه الفكري الثقافي في بلادنا، عبر أفق معرفية متعددة، ومتنوعة لم يتقبلها صاحب العقل العربي الذي لم يزل حتى اليوم متمسكاً بذخيرته التراثية العربية في معينها الذي لم ينضب بعد، رافضا هؤلاء الذين دانوا وخنعوا للآخر من أبناء جلدتنا،ممن استقبلوه دون وعي وإدراك، وتهالكوا علي نظرياته ومناهجه التي تحقق – حسب زعمهم ووهمهم – للشعوب العربية"الجنة علي الأرض" !!. حيث استقبلوه استقبالاً كشف افتقادهم لأدني درجات النضج الثقافي والفكري والإبداعي، بمعني اتخاذهم"المكان أو الجهة/الغرب الآخر– قبلة"، أي بالمعني الذي يبرز الخضوع البين للكثير من مقولات ونظريات ومناهج ليست مناسبة دائماً لواقعنا وثقافتنا وإبداعنا، وليتهم قد استقبلوه بمعني التلقي والسعي إلي التفاعل البناء.."[١] وهو أخف الضررين و لاشك أن هذا الاستقبال المقدس للغرب/الآخر بالمعني الأول: اتخاذ المكان أو الجهة/الغرب قبلة.. بإضفاء عليها هالة من التبجيل و التعظيم، بمعني الخضوع البين لكثير من مقولات ونظريات ومناهج ومفاهيم ليست مناسبة دائما لواقعنا، وثقافتنا، وإبداعنا – قد مكن الآخر/الغرب من الحلول كلية في ذواتنا العربية، وأعطاه حضوراً ملحوظاً في خطابنا الفكري والثقافي والنقدي والإبداعي. وغدا مطلاً كرؤوس الأفاعي من بين ثنايا أفكار كتابنا ونقادنا ومثقفينا في العالم العربي حتى أصيب الجميع بالاضطراب الفكري، و الشتات هنا

(١) استقبال الآخر الغرب في النقد العربي الحديث: د/ سعد البازعي صـ٥ ط أولي–المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء-المغرب سنة ٢٠٠٤م.

وهناك بين المنازع الفكرية الأوروبية، وان التقي الجمع في نهاية القول علي مائدة واحدة.. هي مائدة الغرب/الآخر. علي نحو ما رأينا من (رومانسية) العقاد الانجليزية، أو (عقلانية) طه حسين الفرنسية، أو (ماركسية) سلامة موسي الأوروبية، و هو ما أشار إليه الناقد المصري لويس عوض في قوله:

"أما أنا فكنت أعاني من البلبلة بطريقة أخري هي التناقض بين العقاد وسلامة موسي وطه حسين. فقد تواجد الثلاثة معاً، وقد أحطتهم بدرجة عالية من التقدير. هكذا وجدتني حيناً رومانسياً يترجم شيلي، وحيناً عقلانياً ديكارتياً، وحيناً ثالثاً يسارياً أوروبياً من القرن الماضي"(١) . وهنا تكمن حتمية الاعتراف بحلول الآخر/الغرب فينا، وحضوره في ذواتنا، و النصوص كثيرة في هذا الباب، والأنصار العرب كُثُر لا حصر لهم، من أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حتى وقتنا هذا ممن تشيعوا للآخر، ودانوا له بالولاء، وكانوا سببا رئيسا فيما تعانيه الأمة اليوم من تصادم مع هذا الآخر، أو تمزق و شتات فكري، أو صراع من جانب آخر في محاولة انعتاق من سيطرة الآخر علي الأنا/الذات العربية، التي تعاني اليوم قلقاً شديداً علي خطابها العربي من هذا الآخر الذي طوع كل شيء في العالم لرؤاه ومساراته.

"ومصدر القلق ليس بالضرورة الرغبة في عدم استقبال الآخر، أو العزلة الثقافية، و إنما هو ناتج عن الإحساس بأن ما يقدمه الآخر ينطوي علي جانبين:

- **الأول**: أن استقبال الآخر كثيراً ما يتحول إلي نوع من الاستهلاك أو التهالك الذي يؤدى إلي ضمور القدرة علي الإبداع، نتيجة للاعتماد علي جاهزية المعطي الغربي.
- **الثاني**: أن ما يمكن استقباله من الآخر يتضمن ما يوجب الرفض، و ما يوجب القبول في الوقت نفسه، و أن العلاقة الثقافية لا تخلو من الاثنين معاً(٢).

علي أن جانباً ثالثاً لا يمكن أن نغفله هنا، يتمثل في تلك النظرة العدائية من الأنا/الذات العربية لهذا الآخر/الغرب، وبخاصة بعد أن غرس إسرائيل شوكة في جبين الأمة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين. حيث يري العربي فيه منتهكاً وجوده،سالباً حريته، مغتصباً أرضه، مشوهاً ما تبقي من صورته الإنسانية في كل

---

(١) مجلة أدب ونقد: صـــ٦٨ القاهرة – عدد مايو سنة ١٩٩٠م

(٢) استقبال الآخر الغرب في النقد العربي الحديث: د/ سعد البازعي صـــ١٥

مكان، فالعربي في مخيلة الآخر:شرير مهدد للسلام، أصولي متعصب، إرهابي، دموي، قاطع طريق، زير نساء، متسلط، عديم الفائدة، مرادف للخطر..

و أشكال أخري انتقاصية يروجها الغرب/الآخر – لاسيما عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، و محاصرة المد الإسلامي لمؤسساته في كل مكان – عن العربي تغيب ملامحه الإنسانية، وتحيطه بغلالة يصعب معها تحديد هويته، أو تمييز أدميته. وقد تسبب ذلك في فقد مساحة كبيرة من الوعي لدي العربي في المعاصرة، ومن ثم أخفق إخفاقاً كبيراً في خطواته أمام الآخر الذي يمتلك استراتيجية فكرية دولية مكنته من الهيمنة علينا في مجالات عدة.

و قد أشار الباحث التونسي كمال عبد اللطيف إلي هذه الهيمنة، في تحليله لتاريخ المثاقفة العربية مع الغرب وما اتسمت به منذ القرن الماضي (العشرين) قائلاً:

"فمن المعروف أن زمن المثاقفة الحاصلة في العالم العربي، منذ منتصف القرن الماضي، وإلي يومنا هذا، قد اتسم بطغيان الهيمنة الغربية في مختلف مجالات الوجود المجتمعي، في الاقتصاد والسياسة والتقنية، وكان لهذه المسألة أثرها القوي في المستوي الفكري، مما ولد مواقف فكرية حادة ومتقاطعة، كما ولد الانتقائية والازدواجية، وهما ملمحان بارزان في الخطاب العربي المعاصر"(١).

هذه المواقف الفكرية الحادة و المتقاطعة، أو الانتقائية والازدواجية المشار إليها في النص السابق هي ما أدركه المبدع العربي اليوم، وأودعه قصيده، ومقالته، وقصته، ومسرحه، وروايته. ويمكن التعرف أكثر علي هذا الموقف العدائي من الآخر، والرغبة العارمة في الثأر منه، أو الصدام الحضاري، أو انتكاسة الأنا العربية أمامه، أو ولائها له وإخلاصها لرؤاه ومساراته المعرفية .. يمكن التعرف علي كل ذلك في النص الروائي العربي"الذي هو مرآة لحركة المجتمع العربي في الحقبة الزمنية الأخيرة"(٢). ولم لا؟، "و الرواية أداة مهمة من أدوات نشر المعلومة، وصنع الوعي في العالم

---

(١) قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة: كمال عبد اللطيف صـ٥٠ " دار الطليعة-بيروت سنة ١٩٩٤م، نقلاً عن استقبال الآخر:صـ١٦ بتصرف.

(٢) الاتجاه الإنساني في الرواية العربية: د/مصطفي عبد الغني صـــ١١١ ط مؤسسة اليمامة الصحفية – الرياض سنة ١٤٢٦هـــ – سنة ٢٠٠٦م.

العربي"[١] في المعاصرة.

و لاشك أن هذه المكانة للرواية العربية اليوم تؤكد أن المبدع العربي بحرصه علي تمثيل الآخر بوجوهه المتعددة وظلاله المتباينة – قد وصل إلي مرحلة النضج الإبداعي في مواجهة واقعه وقضاياه في صورة الآخر، الذي يتطلب من الروائي العربي إلي جانب نضجه الإبداعي وعياً وإدراكاً بفعل الآخر وحقيقته، حتى يقاومه بفكر عقلاني يخضعه لتقدير الأنا/الذات العربية واحترامها. وليس بفكر عبثي يقوم علي

الثأر من الآخر عن طريق الأنثى/سلاح الغرب المدمر، كما فعل بعض الروائيين العرب من الذين زجوا بأبطالهم في أتون هذه الحرب الخاسرة، كما نري في النصوص التي اخترناها هنا للدرس التطبيقي.

علي هذه الصورة الجديدة للنص الروائي العربي، وتمثيلات الآخر في لحمته ينصب اهتمامي في الصفحات التالية، التي أحاول من خلالها معالجة هذا الموضوع من خلال الوقوف علي عتبات الآخر، ووجوهه التي تنوعت مؤخراً حتى غدت بيننا من أبناء جلدتنا ممن يشكلون خطراً علي واقعنا العربي أكثر من الآخر الحقيقي. ولكي تكتمل هذه الصورة أتبعت ذلك بدراسات تطبيقية، للعديد من النصوص الروائية لأصوات عربية مختلفة، تمثل صوتاً واحداً هو صوت الرواية العربية الواعية التي تحقق وجودنا بمشيئة الله.

علي عتباتِ الآخـر..

المصطلح / الموقف

الآخــر.. كلمة أصبحت– منذ بداية القرن العشرين– تشكل محوراً رئيسياً في تحولات العقل العربي في العصر الحديث، بما تحمله من دلالات مرجعية وفكرية وسيكولوجية، غدت في المعاصرة علي أثر تلك الدلالات والإشكالات المعرفية حولها (مصطلحاً) له الكثير من المفهوم الذي يعني الغرب المتربص بحيواتنا في شتي مناحيها، المهيمن علي جل مجاليها، المختلف معنا جنساً، وروحاً، ومعنيً، ووعياً،

---

(١) السرد العربي القديم.. الأنواع والوظائف والبنيات: د/إبراهيم صحراوي صـــ٢٩ ط أولي – الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف – الجزائر سنة١٤٢٩هـــ – سنة ٢٠٠٨م.

وعقيدة. وهذا المفهوم أضحي يشكل أبعاداً ورؤى ومسارات تبعث علي الهلع والفزع، وكذلك الانتكاسة في محيطنا العربي علي اختلاف أطيافه وأنساقه.

وتزداد وتيرة ذلك الفزع، وتتسع دائرته من هذا الآخر/الغرب،حينما نشهد هذا التحول الملحوظ من حولنا بين هذه الأطياف، وتلك الأنساق في المجتمع العربي الذي يشهد اليوم حضوراً و تداولاً لهذا المفهوم بين مثقفيه ومفكريه وأدبائه ومبدعيه، حتى تحول كثرة منهم إلي أقنعة ووجوه مزيفة لهذا الآخر، بعد أن أصبحت تلك الوجوه جزءاً رئيسياً منه، وأداة فاعلة في مجتمعاتها علي المستوي الجمعي .. سياسياً، وثقافياً، وفكرياً، واجتماعياً، وفلسفيا، واقتصادياً، بل وعقدياً!!. إلي غير ذلك من الميادين الأخرى التي بات يتصل بها اتصالاً وثيقاً، ويتلون بسمتها في مقدمتها النقد الأدبي والدراسات الفكرية والثقافية، إلي أن أصبح موضع اهتمام المعاجم الأدبية و النقدية و الثقافية و الفلسفية بوصفه مصطلحاً غدا له حضوره ومكانته، وأنصاره ورجالاته ، وملامحه ودلالاته، في الفكر الإنساني في المعاصرة.

و لاشك أن العولمة و التطورات المذهلة في ثورة المعلومات وشبكات الإعلام، وتقنيات الاتصال، أسهمت بفاعلية كبيرة في إثارة هذا المفهوم كما يقول الكاتب السعودي زكي الميلاد(١)، وتحريكه ولفت الأنظار إليه تبن مختلف المجتمعات والثقافات، وذلك لكونه شديد الصلة بمسألة الهوية، التي تفجَّرَ الحديث عنها مع انبعاث تيار العولمة، وأصبح هناك تلازم في الحديث بين العولمة والهوية.

وفي ظل الانطباعات التي تصور أن العالم بات شديد التداخل والترابط بين أجزائه المتباعدة، وتحولها إلي ما يشبه القرية العالمية المتصاغرة مع مرور الوقت، الوضع الذي غير جذرياً منظورات الرؤية لمفهوم الآخر، فلم يعد الآخر خارج الأسوار المحصنة، أو ذاك الذي تفصلنا عنه تلك المسافات البعيدة، أو ذاك الذي تحول بيننا و بينه البحار والمحيطات الممتدة علي مدي البصر، أو الذي تحول بيننا وبينه الوديان والجبال الشاهقة، أو الفلول و الصحاري الشاسعة، فقد بات الاحتكاك بهذا الآخر يحدث

---

(١) مفهوم الآخر بين المعني السلبي و المعني الايجابي": زكي الميلاد.جريدة عكاظ السعودية: العدد(٢٨٦٧) – ٢٧ من ربيع الآخر سنة١٤٣٢هـ الموافق الخميس ٢٣ إبريل سنة ٢٠٠٩م.

في كل لحظة، و في كل مكان، وبكثير من الوسائط المباشرة وغير المباشرة، السمعية والبصرية، الشفهية والمكتوبة، وبلغات مختلفة. من هنا كانت الضرورة للتوقف عند هذا المفهوم للآخر، وفحصه وتمعنه، لمعرفة حده وحدوده، وكشف هويته وماهيته، وتحديد علائقه وتداخلاته.

و قد يكون- بداية- في حكم المتفق عليه فكرياً في الأدبيات السياسية المعاصرة، وعلي نحو ما استقر عليه قاموسنا الإعلامي، أن المقصود بـــ "الأنا" أو "الذات" أو "نحن" في معرض الحديث عن "حوارات الحضارات" أو "حوار الثقافات" هو العربي تحديداً أو المسلم، وان المقصود بـــ "الآخر" هو الغربي بوجه عام، أكان مسيحياً،أم علمانياً أم غير ذي دين، فحيثما ورد حديث "الأنا و الآخر" فهو دائر بالضرورة حول علاقة العربي المسلم بالغربي المسيحي أو العلماني حسب رؤية الكاتب الأردني إبراهيم العجلوني، التي أوردها في كتابه" إضاءات في حوار الآخر واحترام الذات"(١).

وتتسع دائرة مفهوم الآخر لتشمل الماركسي، أو الكافر، أو الملحد، أو المشرك، أو الحداثي، أو الوجودي، أو من يخالفنا الرأي و التوجهات العقلانية من أبناء جلدتنا، أو حتى من خالفنا منهم العقيدة كمسيحيي مصر مثلاً، أو غير ذلك من التسميات و التوصيفات الأخرى التي يستعاض عنها بذكر وصف "الآخر" بقصد الحفاظ علي ديناميكية الفكر العربي من تردد مثل هذه المسميات خشية توغلها أو تغلغلها في عقل مجتمعاتنا ولحمتها. ومن جانب آخر بقصد الترفـــــع والتنزه عن مجرد ذكر مفاهيم دخيلة غريبة عن أخلاقنا الدينية و الاجتماعية.

بينما واقع المشهد الثقافي العربي اليوم، وبعيداً عن التنظير أو التطبيق للمسميات السابقة من خلال رصدها، أو الاهتمام برصدها، أو بكيفية فهمها وطريقة استقبالها- يؤكد "أن الآخر يظل في الفكر العربي هو الآخر الغربي بشقيه الأمريكي و الأوروبي، فالآخر لدي العربي هو الغرب في شتي صوره السياسية و العقائدية و الحضارية"(٢).

---

(١) جريدة الرأي : العدد(١٣٤٧٩).-الثلاثاء ٢٨ أغسطس سنة ٢٠٠٧م

(٢) قال بهذا الرأي الدكتور عبد الخالق عبد الله أستاذ العلوم السياسية بجامعة الإمارات، راجع هنا للمزيد: جريدة الشرق الأوسط: العدد(١١٣٧٠).- الخميس ٢٨ من المحرم سنة ١٤٣١هـــ- ١٤ من يناير سنة٢٠١٠م

بمعني أن الآخر إنما يتحدد في الجانب الفكري والثقافي والسياسي، ويتأطر به بشكل خاص بوصفه المفهوم الذي يشير بصورة رئيسة إلي الخلاف أو العراك الفكري و الثقافي بين الأفراد أو المجموعات البشرية، علي اختلاف أطيافها وهياكلها وتوجهاتها التي تتشكل من خلالها، ما بين توجه اجتماعي، أو توجه اقتصادي، أو توجه سياسي، أو توجه ديني، ولاسيما حينما ينشب العراك المعرفي فيما بينها، أو يحتدم الخلاف حول توجه بعينه بكل ما يحمل هذا التوجه من مضمنات فكرية. و هو ما يؤكد أن المعني العام لمفهوم الآخر هو: الغير، أي المختلف، ليتعلق هذا المفهوم في النهاية بالغيرية والضدية.

و ما سبق يؤكد أن المشهد الثقافي علي امتداد خارطة الوطن العربي لم يتفق بعد علي معني واحد للآخر، و لم يستقر علي صيغة علمية أو مقاييس وأطر لهذا الآخر مما يثبت جدلية الخلاف حوله كمصطلح، و أنه مفهوم " لا يمكن تحديده بمعني ثابت، أو ضبطه بمدلول محدد، وبخاصة أنه مصطلح في طور النمو والتشكل لدي المجتمعات، وهو مصطلح تم تجاوزه في مجتمعات ما بعد الحداثة نحو إلغاء الخصوصيات و الثنائيات"[١]، الأمر الذي اوجد وجوهاً متعددة و متباينة للآخر حتى غدا لكل مثقف أو ناقد (آخر) خاصا به إن جاز هذا التعبير. و هو ما نقف أمامه بعد قليل من تعدد قسمات هذا الآخر وملامحه الذي تعدي الغرب إلي بعض مثقفينا و مفكرينا ممن عرفوا أنفسهم بالليبراليين، أو العلمانيين، أو الحداثيين، أو البنيويين و القائمة تطول.

و لا يخفي علي أحد مظاهر الإعجاب و الافتتان بالآخر / الغرب في حضارته و ثقافته ورؤاه، بل عاداته و تقاليده وموروثه مما يتعارض مع الحضارة العربية، و يختلف مع بيئتها ومجتمعاتها. وربما يكون هذا التوجه هو سر تمرد الكثيرين من النخب العربية- علي مستوي الكتاب و المفكرين و الفلاسفة و النقاد والمبدعين- علي حضارتهم وثقافتهم وموروثهم، بل واقعهم المعيش. ويمضي بنا الحديث في هذا السياق ليتضح " أن الأخر يسكن في دواخلنا، وفي تفكيرنا وأذهاننا، ضمن هواجس الإعجاب

---

(١) رأي للكاتب و الأكاديمي السعودي الدكتور مسفر القحطاني جاء في معرض حديث معه حول مفهوم الآخر، للمزيد راجع: جريدة الشرق الأوسط: العدد (١١٣٧٠)- الخميس ٢٨ من المحرم سنة ١٤٣١هـ- ١٤ من يناير سنة ٢٠١٠م.

المستترة والخفية، وهنا تكمن الازدواجية أو الثنائية القاتلة ولكن بأسلوب مختلف..ثمة من يرفض الآخر رفضاً كاملاً، ولكن يهاجر إليه ويسكن في بلاده، ويحترم قيمه، ويمتثل لقوانينه!! ويغدو أولاده وأحفاده جزءاً من ثقافته أو من نسيجه البشري!!، وبرغم ذلك فان أزمة الثقة والسياسيات والإيديولوجيات قد صنعت أناساً لا يؤمنون بأن لهم قوة من نوع ما يمكنهم من خلالها أن تكون لهم ثقة بالآخر(١)، أو قواسم مشتركة تعينهم علي المواجهة أو التعايش العلمي الذي يحافظ علي العقل العربي. من الذوبان في ذلك الآخر!!.

وهنا لابد من التأكيد أن المتضرر من الآخر/الغرب هو الضعيف الهش القابل للذوبان في هوية الآخر، وهذا أشد ما نعانيه اليوم في مشهدنا المعرفي العربي الذي يضج من هذه التحولات في الذهنية العربية العلمية و الثقافيـــــــة و النقدية بل و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية والعقدية...

وهو أيضاً أشد ما تعانيه الأمم التي تخلت عن موروثها وشخصيتها الثقافية، بل أشد ما تعانيه المجتمعات الجديدة التي لا عمق لها تاريخياً أو فكرياً أو ثقافياً، حتى تستند إليه من الهيمنة الغالبة لأدوات العولمة ذات الطابع الغربي المحدد.

وعلي الرغم من ظهور أولي ممارسات الآخر/الغرب في الشرق العربي في بداية القرن العشرين، إلا أن تلك المحاولات المبكرة لم تكتسب سمات مميزة و محددة في النطاق المعرفي والمنهجي إلا مع بداية التسعينات من القرن العشرين، وذلك حينما تصادم الفكر العربي المعاصر بمخططات البنيوية، أو العلمانية، أو التشريحية، أو الشكلانية، أو التفكيكية، أو الحداثة،"وما جاء بعد ذلك من متغيرات ما بعد البنيوية، والتعامل مع الإبداع عن طريق وضعه داخل سياقه السياسي والاجتماعي الذي أنتجه، وذلك علي اعتبار أن النص علامة ثقافية في الشأن الأول قبل أن يكون قيمة جمالية"(٢) وتلك قصديه واضحة لتقزيم النص العربي، وتحييد النخبة المثقفة، وقطع الصلة بينها

---

(١) الاتجاه الإنساني في الرواية العربية: د/مصطفي عبد الغني صـ١١٠ ط أولي- مؤسسة اليمامة الصحفية- الرياض سنة١٤٢٦هـ-سنة٢٠٠٦م-كتاب الرياض (١٤١).

(٢) دليل الناقد الأدبي:د/ميجان الرويلي، د/سعد البازعي صـــ٣٠٤ ط ٣ المركز الثقافي العربي- بيروتسنة٢٠٠٢م

وبين شعوبها، ليضمن الآخر حينئذ السيطرة التامة علي الشعوب المستعبدة، والهيمنة عليها اقتصادياً، وحضارياً، وعسكرياً، وسياسياً، وكذلك ثقافياً.

وقد فطن لهذا المخطط الغربي الناقد العربي الدكتور عبد العزيز حمودة، حينما راح يؤكد بوعي وإدراك أن الوجه الحضاري الثقافي للغرب ليس غير الوجه الاستعماري البشع المخادع، الذي يسعي دائماً للهيمنة بتلونه المستمر وتبديل ملامح وجهه، وهناك من رصد هذه الملامح وأدرك حقيقة هذا الآخر، وهناك من الكثرة من استقبله ووقع فريسة لغوايته، غير مدرك للسقوط الذي يتجه نحوه..يقول الدكتور حمودة: "وعلي الرغم أن بعض الثقافات القومية قد تنبهت للخطر القادم مبكراً، ونجحت في تطوير حداثة أو حداثات قومية نابعة من واقعها هي، كما فعلت الهند مثلاً، فان الثقافة العربية وقعت في غواية الحداثة الغربية، وأدارت ظهرها لتراثها الثقافي الخاص غير مدركة لخطورة ما يحدث، أو بالأحرى ما حدث بالفعل، إنه تم تحييد النخبة المثقفة، وإبطال فاعليتها في قيادة الجماهير، وتشكيل الثقافة الشعبية. وحينما عزلت ثقافة النخبة أو الثقافة العليا عن الثقافة الشعبية، انفردت الثقافة المهيمنة بالثقافة الشعبية، تعيد تشكيلها بطريقتها الخاصة، لتغرس الانتماء الجديد لتلك الثقافة..ثقافة الآخر باسم عالمية الثقافية[١]".

وهذا يتطلب منا الاهتمام بخطابنا الثقافي، بأن يكون مواكباً مع الثقافات المعاصرة دون رفض أو إهمال أو ثورة علي موروثنا، وأن يكون متجدد القوالب الفنية، ومستوعباً لمتطلبات العصر و الواقع واحتياجاتهما. وأن لا تقلقه التحديات بقدر ما تحفزه علي التمدد و العالمية!!. وان لا ينساق أكثر من هذا خلف وهم العولمة،"تلك التي بشر بها الآخر/الغرب علي أنها (النظام العالمي الجديد) الذي سيسود العالم، ويحقق للشعوب(الجنة علي الأرض). إلا أن الواقع ينبئ عن غير ذلك، وأن ما أفرزته العولمة علي أرض الواقع قد جاء مغايراً تماماً لمثل هذه الوعود المبشرة!!...

حيث تحولت (الكلمة المبدعة) في زماننا إلي وصفة طبية، و ذلك بعد أن أخذت

---

(١) الخروج من التيه..دراسة في سلطة النص: د/عبد العزيز حمودة صـــ٣٢٥ ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت– نوفمبر سنة٢٠٠٣م، سلسلة عالم المعرفة– العدد رقم(٢٩٨).

التكنولوجيا تهاجم الأدب، وتطحن الفرشاة، وتكسر الأقلام.. وأصبحت الكلمة لدينا سراباً..تطلق هكذا بلا أسباب..إنها هذر وهذيان.. لم تعد تنقل مشاعرنا..في عصر تحجرت فيه مشاعرنا.. وجفت فيه مدامعنا.. وكثرت فيه مآسينا، وطحنتنا فيه هموم العولمة، والحداثة و البنيوية و البنائية والتفكيكية و (المهلبية) و الثورة المعلوماتية[١].

وأثقلت كواهلنا مثل هذه التوقيعات الشعرية- وهي كثيرة وليس هذا مجالها- و التي تنزف دماً و تفطر ألماً ناقلة ما ألت إليه الأمة في ظل هيمنة الأخر.. نذكر من هذه التوقيعات للتدليل علي أن الأخر أصبح حاضراً في مناحي حياتنا الثقافية والإبداعية.. في المقالة، في القصيدة، في النقد، في الرواية.. ناهيك عن حيواتنا الأخرى الاجتماعية والاقتصادية وغيرها- هذا التوقيع الشعري للشاعر العربي سميح القاسم، و الذي عنون له بعنوان حفر في الذاكرة العربية في المعاصرة، بعد أن غدا المحطة الأخيرة لتصفية الجسد العربي المسلم دون رجعة، إنه"جوانتانامو" الذي يقول فيه شاعرنا[٢]:

هنا جوانتانامو.
أراجيح ضوء شحيح عقارب ساعتهِ...
المفلتةْ.
وَرَقَّاصُ ساعته الميِّتةْ.
هنا غوانتانامو
يغني المغني الأسير دماً..
يا صديقي المغني..
لجرحك إيقاع جرحي.
لصوتك أوتار حزني

---

(١) المجلة العربية: العدد ٣٨٢ السنة الثالثة والثلاثون / ذي القعدة ١٤٢٩هـ - نوفمبر ٢٠٠٨ م (١٢٨) بتصرف .

(٢) الأربعاء: عدد ٩ من شعبان سنة ١٤٣١هـ-الموافق ٢١ من يوليو سنة٢٠١٠م.صـ٣. جريدة ثقافية تصدر يوم الأربعاء من كل أسبوع عن مؤسسة المدنية للصحافة والطباعة والنشر- السعودية.

لموتك ما ظل لي من حياتي.
وما ظل للموت مني.
وكل زمان هلام.
وكل مكان هلام.
سوي غوانتانامو.
لبرج المراقبة الجهم أن يستثير الرياح.
وان يستفز الجهات.
وللحارس الفظ أن يشتم الأمهات.
و للثكنات.. وللأسلحة.
ممارسة الحلم بالمذبحة.
وللزيت و الشحم والفحم أن تتحدي
طموح الزهور...
وان تتصدى لتوق النبات...
و للقبضات وللأحذية.
معاقبة الأغنية.
وقمع الصلاة
هنا ما يشاء النظام
وفوضي ترتب فوضي
ويسكت جوعً صيام
هنا غوانتانامو.

و كلنا يعيش هذا الانزواء، وذلك التواري لنقدنا العربي الذي لم يزل في جله تابعاً للآخر، غير مستقر في رؤاه، وفي تواجده علي الساحة النقدية العالمية، أو حتى المحلية!!. ولابد- لأن يتعافي- من توحيد الرؤى العربية أولا، المنطلقة من جذورنا العربية لتواكب تطورات العصر بأسلوب علمي يتماشي مع التقدم العالمي. ثم ضرورة العمل ثانياً علي تامين العقل العربي في الدرس الأكاديمي العربي وبخاصة في ظل هذا الغزو الأكاديمي الغربي، والذي تشهده أكثر المجتمعات العربية في الآونة الأخيرة،

ويعمل جاهداً علي تشويش صوت الأكاديميات العربية الوطنية.

كما أن المتابع لمسيرة الرواية العربية في العصر الحديث سوف يتوقف أمام هذا الانفتاح في عوالمها، وتلك المتغيرات التي توالت خلال الحقب الأخيرة علي هذا الجنس الأدبي في خطابه بوصفه خطاباً أدبياً "ينتج ضمن خطابات أخري أدبية، وغير أدبية، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية وسياسية وغيرها..[١]" من اتجاهات ورؤى، وتأثير وتأثر، وطرح ومعالجات متباينة حتى في الأمكنة، بداية من مصر، فالسودان، مروراً ببلاد الشام، وبلاد المشرق العربي، وصولاً إلي الخليج العربي في السعودية، والإمارات وسلطنة عمان.

ولاشك أن هذا التنوع يفسره زوال الحدود الفاصلة في عالم الكتابة اليوم، وانفتاح المبدع العربي علي الآخر/الغرب، وتأثر الإبداع العربي بالعولمة و الأيديولوجيات وتنافرها وسقوط العديد من الأقنعة، وتواري القطبية وانزوائها، وانفراد قوة أحادية بالعالم، تدير كافة ثقافاته، وطاقاته تبعاً لرؤية واحدة وإن تعددت الوسائل و الأدوات.

حتى غدا من الصعب البحث عن الأنا/ ذواتنا العربية، والتعرف علي هويتنا بعيداً عن الوقوف أولاً أمام هذه القوة الأحادية.. الآخر/الغرب،تلكم القوة التي أضحت نقطة البدء، بل خارطة الطريق الثقافية- إن جاز هذا التعبير- التي لابد أن يؤمن بحقيقتها ووجودها المبدع والمثقف والمفكر والناقد والفيلسوف العربي،ويمر بها طوعاً أو كرهاً، معلناً الولاء والطاعة، أو راضياً بالتبعية مؤمناً بها، أو رافضاً ناقماً ساخطاً عليها، أو متصادماً مع مساراتها ورؤاها.

ومن هنا، لا نستطيع أن نتجاهل هذا الآخر/الغرب، وتواجده في حياتنا بصورة استعمارية، وسيطرته التامة، سواء في ذلك علاقته القهرية الاستعمارية، أو علاقته المعرفية التنويرية التي يزعم البعض من أنصاره في بلادنا أنها علاقة ضرورية وحتمية للتفاعل مع حضارته، و الإفادة من تقدمه الفكري و المعلوماتى، غير أنه "عندما يتم النظر إليه علي أنه ميدان حضاري يحتوي موتنا، ومصدر بعثنا في اللحظة

---

(١) تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير): سعيد يقطين صـــ٥٢ ط٤ المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب سنة٢٠٠٥م.

نفسها يصبح موقفنا منه مأساوياً بالفعل، إذ يتحول إلي عدو وصديق في الوقت نفسه[١]"، وبخاصة أن الغرب- كما رأينا ونرى- لا يكتفي بالهيمنة وحدها، وإنما يسعي للنيل من عقيدتنا علي اعتبار أن عالم الإسلام هو النقيض لهذا الآخر، الذي يهدده ما دام لم يدن له بعد بالطاعة و الولاء، ذلك أن الآخر يختلف عن الأنا/الذات بكل دلالاتها المرجعية و السيكولوجية. لذا فهو يمثل- في الغالب- أي الآخر.. العدو المضاد لنا دائماً، أو هذا الخصم الذي وإن كان يعيش بيننا، فإنه يظل العدو أو الخصم الذي يقف موقف العداء من ذواتنا، بما يمثله مفهومه من نفي للذات في هذا العصر الذي تعيش فيه شعوبنا تابعة للغرب.

والي أن يدين له هذا العالم العربي، سيظل هذا الآخر/الغرب يتخذ منا موقفاً عدائياً مضاداً. وهو ما يتبلور في فهمنا لذواتنا عبر علاقاتنا به، ويتبلور أكثر حين يضعنا في هذه الحيرة المأساوية بين ما نريد و ما يريد هو، لكنه- بالقطع- يخرج بنا إلي تخوم الكشف و التثبت و الوعي بالذات[٢]. عبر فكرنا أو ثقافتنا، أو إبداعنا.. سردنا الروائي علي وجه الخصوص!!

وإزاء هذا الموقف الجلي، لم نعد بحاجة إلي أن نؤكد الحيز الذي يحتله الآخر/الغرب في المجتمعات العربية المعاصرة، و الدور الذي يلعبه لتغريب هذه المجتمعات، ومحاولة عزلها عن هويتها بالحداثة والعولمة والبنيوية، وكل ما من شأنه تقطيع أواصر الصلة بين هذه المجتمعات وموروثها، وثقافتها الإنسانية الأصيلة. ولم نعد بحاجة إلي تأكيد خطورة هذا الدور الذي يلعبه الآخر/الغرب في مسخ العقل العربي، ومحو الذات العربية وهيمنة الذات الغربية علي اختلاف وجوهها الـــ...، التي تحتاج منا إلي مواجهة واعية، واستقبال منها ما يضعنا علي طريق التقدم علي أن

---

(١) (الاتجاه القومي العربي) د/ مصطفى عبد الغني مجلة المستقبل العربي من ص ٨٥ وما بعدها عدد أكتوبر ١٩٨٨ م .

(٢) الاتجاه القومي في الرواية: د/ مصطفى عبد الغني ص ١٠٨ طبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت – ١٩٩٤ – وانظر : الاتجاه الإنساني في الرواية العربية، د / مصطفى عبد الغني- ص ١٠٩ وما بعدها .

نرسل لهم في الوقت ذاته.

ومن يفتش في الذاكرة العربية في العصر الحديث يحزن للكثيرين من مثقفي الأمة، ممن ذهبوا إلي الغرب أملاً في تفعيل العقل العربي بالتواصل الحضاري مع هذا الآخر، فإذا به يعود فاقداً لذاكرته العربية، متنكراً لذاته العربية، مفاخراً بثقافة الآخر، تجأر أسرار نفسه بالتبعية و الولاء له علي حساب هويته/ذاته العربية!!

ولعل من أبرز هؤلاء الضالين عن جادة الطريق توفيق الحكيم الذي "ذهب إلي باريس في محاولة للحصول علي درجة الدكتوراه في القانون، لكنه لم يوفق في إدراك بغيته، وعاش ثلاث سنوات مستمتعاً بالحياة الغربية، بكل ما فيها من ألوان الحرية، مطلقاً لنفسه العنان لنزوات الشباب، فهو مغرم باحتساء(البرنو)، عاشق (لساشا شوارتز)، (إيما دوران)".

ولاشك أن الحضارة الغربية قد فتنته، وبدا موقفه الفكري يميل بقوة في اتجاه العلمانية، ليتبع رفقاء- كانوا أسن منه- سبقوه إلي ذلك. منهم طه حسين، وإسماعيل مظهر، ومنصور فهمي، ومحمد حسين هيكل. وكان يجمعهم الإيمان بأن التقدم لن يتم إلا بإحلال العقلية العلمية الأوروبية في محل الفكر العربي.." [١]. ونماذج عديدة توغلت في لحمة الوطن العربي وسعت سعياً حثيثاً لتغريب مجتمعاتها، حينما ذهبت تطبق مبادئ وأسساً وأفكاراً لمدارس أدبية غربية، ما بين إنجليزية وفرنسية وألمانية علي العقل و الإبداع والفكر والنقد العربي. دون انتقائية واعية بما يتناسب مع العقل والوجدان والواقع العربي، خاصة وان العقل العربي له جذوره الراسخة الثابتة، التي لو وعاها هؤلاء، وأخلصوا لوجودها الإنساني لتطورت قافلة الثقافة العربية، وتواصلنا فكرياً وثقافياً وإبداعياً مع الآخر البعيد و القريب دون خوف أو وجل، وتوقفت الهجرة العربية- روحاً وعقلاً وجسداً- إلي الآخر الغرب وهي فاقدة لوعيها، غير آسفة علي هجرة أوطانها الأم، خالية الوفاض.

وربما كان السبب الرئيسي وراء هجرة الشرق العربي إلي الآخر/الغرب في الحقبة الأخيرة من القرن العشرين، هو ذلك التمزق الذي أصيب به البطل العربي/

---

(١) دراسات في الأدب العربي الحديث: د/محمد مصطفي هدارة صـ٢٩١ ط أولي- دار العلوم العربية- بيروت- لبنان سنة١٤١٠هـ - سنة١٩٩٠م.

الذات العربية/ الأنا داخلياً/ نحن، فأحيط المثقف والمبدع والمفكر بالغربة في وطنه، وعاني العزلة في مجتمعه الأم، وهنا لم يجد بداً من الفرار من الخصم الداخلي إلي الآخر/الغرب، فإذا به في صدام مع خصم جديد.

وربما كان أول من تنبه إلي ذلك وكتب عنه من الروائيين العرب عبد الرحمن منيف(١)، في تقديمه لروايته "شرق المتوسط"(٢) حين يقول:"إننا اليوم في مواجهة حالة مركبة، في مواجهة خصمين، الأول محلي، والثاني من وراء البحار، وهناك تحالف من أنواع متعددة يراد لها أن تحكم سيطرتها لضمان مصالح الطرف الأقوى.

لكن القوة علي المستويين: المحلي والعالمي لا يمكن أن تدوم طويلاً، أو أن تغير في مسار التطور التاريخي، الأمر الذي يستوجب أن يكون العقل و المستقبل من جملة المقاييس و الاعتبارات التي يجب التفكير فيها قبل فوات الأوان"(٣). إن أردنا التواصل الفكري مع الآخر/عموماً.. البعيد والقريب، الأمريكي أو الفرنسي أو الألماني، المسيحي أو الشيوعي، العلماني أو الحداثي، الليبرالي أو الصهيوني، وذلك عبر جدليات متضادة تخلق الوعي من حيث تدري وتعلم وتتيقن. وفي هذا–لاشك– تكمن حريتنا التي تتراجع أمامها أزمتنا مع الأخر/الغرب. ذلك أن الحرية تعني "قدرة الإرادة الإنسانية علي الفعل، أو تخيل الفعل، وتصميمه، بوازع نفسي واجتماعي"(٤). وهي ردة فعل لفعل مضاد، يريد أن يسلب الإنسان شيئاً عزيزاً لديه، يمس الخطوط الحمر في وعيه ومبادئه، فهي سلوك تلقائي، يخضع للإرادة و الرغبة، نشأ بسبب عوامل متعددة،اجتماعية نفسية ثقافية.

---

(١) للمزيد راجع هنا : الاتجاه الإنساني في الرواية العربية د/ مصطفى عبد الغني– ص ٢٦

(٢) شرق المتوسط: عبد الرحمن منيف، ط الثانية عشرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ١٩٩٩ م . وقد قدم لها الروائي بمقدمة عنونها بعنوان (تقديم متأخر لكنه ضروري) ، كشف في هذه المقدمة عن معاناة البطل العربي / الذات العربية مع التمزق الداخلي في أوطانها ، ومؤامرة الغرب/ الآخر عليها خارجيا .

(٣) شرق المتوسط: عبد الرحمن منيف ص ١٥ .

(٤) النص الأدبي من منظور اجتماعي: د/مدحت الجيار صـــ١٢٣ ط دار الوفاء– الإسكندرية سنة ٢٠٠١م.

و الباحث عن الحرية يحاول الانعتاق من محاولة الآخر السيطرة عليه وتحجيمه، وتطويعه لرؤاه ومساراته، فهي صراع بين الأنا والآخر، بين الإنسان في مواجهة الجماعة(١). وهو ما وفق إليه الروائي العربي في سرده إلي حد كبير مما نتلمسه في بعض الأعمال الروائية التي توقف عندها البحث.

ومعلوم أن من مهام الروائي أن يعري هذا الإنسان/الأنا بأحزانه وأفراحه، وهواجسه وظنونه، ومواقفه ورؤاه، ممرراً رؤيته بما يختار من الأحداث والمواقف الفنية. واعتماداً علي هذه الأمجاد يشرع في عمله وخياله(٢). ومن أعمق ما يشتغل عليه الروائي في هذه التعرية هو تعرية شعور بطله بمشاعر الاغتراب والتنافر مع من حوله الآخر/الصوت أو الصدى، وبحثه عن كيفية تواصله مع ذاته، أو الآخرين، أو الاستيلاء علي الآخر/الغرب. أو كشفه عن حالات انكسار هذا البطل وتراجعه أمام الآخر حينما يأتيه هو ويحقق هيمنته علي الأرض والعرض!!.

ولا عجب في ذلك، "فالرواية نص مواز للواقع، تأخذ من الواقع بقدر ما تعيد إليه من أسئلة وافتراضات واستجوابات، وتشتغل دائماً علي مكونات الصورة المهمشة. فلا تكتب الرواية عن المنجز أيا كان قدره وعظمته، لكنها تشتغل في منطقة الانكسار رغبة في تغيير مكونات الانكسار، وبعث روح متوثبة في أوصال الضعف والعجز(٣). بعيداً عما يسمي بثقافة الخوف" التي لا تبني مجتمعاً، ولا تصنع تقدماً وتمدناً، ولا تخلق ثباتاً واطمئناناً، ولا توفر حماية، أو تؤمن تحصناً(٤).

---

(١) صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية .. رؤية ثقافية جمالية: د/منصور المهوس صـــ٢٨٥ ط أولي- مؤسسة اليمامة الصحفية- الرياض سنة١٤٢٩هـــ- سنة ٢٠٠٨

(٢) صنعة الرواية: بيرسي لوبوك. ت. عبد الستار جواد صـ٢٨ ط ٢- دار مجدلاوي للنشر و التوزيع- عمان سنة ٢٠٠٠م.

(٣) الرواية السعودية واقعها وتحولاتها:د.حسن النعيمي صـــ٩ ط أولي- وزارة الثقافة والإعلام السعودية- الرياض سنة١٤٣٠هـــ - سنة ٢٠٠٩م بتصرف

(٤) نحن والثقافة.. تأملات في مجالنا الثقافي ومستقبلياته: زكي الميلاد صـــ١٢١ ط أولي – مؤسسة اليمامة الصحفية- الرياض سنة ١٤٣٠هـــ- سنة ٢٠٠٩م.

وهذا الفعل الروائي في تحولات الرواية العربية في المعاصرة، يثير تساؤلاً منهجياً أري من الضروري التوقف أمامه، للكشف عن أسرار توهجها وعالميتها في حاضرنا. لماذا احتلت الرواية كجنس أدبي المرتبة الأولي في أجندة اهتمام القارئ والمبدع و الناقد والمثقف العربي اليوم؟ هل لأنها عبرت بالتفصيل عن هموم الإنسان العربي في مجتمعه الجديد المنفتح علي صراعات وثقافات واتجاهات و مشكلات اجتماعية متباينة، اخترقته دون استئذان، وفرضت نفسها عليه، وعلي واقعة الذي لم يكن له سابق معرفة بها؟!..

أم هل لأنها أرضت فضول المبدع العربي في المعاصرة، الذي رغب في فسحة من القول والسرد، واستعذب الإطناب والتفصيل والإيحاء والإسقاط، ليعبر من خلال رؤى عديدة عن المضمون الاجتماعي، وعراك مجتمعه، أو نقده، أو هجره، لاسيما مع تطور المجتمع العربي في الآونة الأخيرة، مع بداية الألفية الثالثة من مجتمع محافظ تقليدي إلي مجتمع متمرد ثائر علي قيمه، منفتح علي التغيرات العالمية، والتحولات الثقافية عند الآخر، تلك التي انبهر بها بعض من أبنائه، وصفق لها ورفع لواءها، وتصادم بعض آخر بهذه التحولات التي أفرزت لديهم معاناة نفسية إنسانية مازالت تسيطر عليهم علي أثر ذلك التحول الفكري، ومن قبله ذلك التحول الطبقي في بنية مجتمعة، فانشغلوا بعمق هذه الصدمة العالمية التي هيمنت علي الفكر والوجدان والروح، حتى غرقوا بإبداعهم في قراءة هذا الواقع المأساوي، وانشغلوا بطاغوته/الآخر/الغرب بوجوهه المتعددة من هنا و من هناك، وهو ما يتبلور في قراءتنا الاستكشافية عن الآخر/الصوت والصدى في الرواية العربية عبر السطور التالية أملاً في العثور علي الطريق الصحيح لمواجهة هذا الأخر، الذي أصبح واقعاً، ولا خيار غير التكيف مع سياساته؟ ولكن بمزيد من الوعي المعرفي، والفكر العقلاني، والصوت العربي الموحد، مما يشكل موقفاً استراتيجياً دولياً يقاوم هذا الآخر، ويحفظ للأمة مكانتها الرفيعة.." **كنتم خير أمة أخرجت للناس..**" (١)

---

(١) سورة آل عمران : من الآية ١١٠ .

- **الآخر...**

الصّوتُ وَ الصّدى في الرّواية العربية

-١-

شهدت الأرض العربية منذ بدايات القرن الميلادي الماضي كثيرا من التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والإبداعية على أثر ذلك الصراع العنيف الذي نشب بين العربي والآخر/ الغرب بكل أطيافه. فهذا صدام بين العرب والإنجليز في مصر، وآخر بين العرب والإيطاليين في ليبيا، وذاك صراع محتدم بين العرب والفرنسيين في بلاد المغرب العربي، بينما يبدو ذلك الصراع الدموي أكثر سفورا وحدّةً في زهرة المدائن/ القدس الشريف بين الفلسطينيين والصهاينة اليهود. وسرعان ما انتقل هذا الصراع بين الآخر والآخر، وبمعنى أوضح بين الأمريكان والإنجليز تارة، وتارة أخرى بين الأمريكان والفرنسيين، أو بين الأمريكان والروس، وذلك رغبة من أمريكا في فرض كامل هيمنتها على الأرض العربية، ومحاولة احتواء الذات العربية لتكون وجها لها في إدارة الصراع الداخلي في مجتمعاتها العربية بديلا لها. ونجحت في ذلك المخطط عبر العولمة أو الحداثة أو الليبرالية أو الصليبية العصرية، كالمسيحية المتعصبة في بعض البلدان الإسلامية اليوم ممَّا سنتوقف عنده بعد قليل.

وأمام هذا التحول حضرت شخصية الآخر الغرب بملامحها المتباينة على اختلاف أجناسها، بصوتها الرئيس أو أصدائها في المجتمعات العربية، وظهرت بوضوح في الإبداع العربي على اختلاف أجناسه، لاسيّما في الرواية العربية بوصفها نصّا موازيا للواقع.. ونصًّا يتيح الحديث عن الممكن أو ما ينبغي أن يكون"[١].

فكثيرًا ما يتمظهر هذا الآخر في النص الروائي الحديث في أشكال منفرة. فهو الجندي السفاح الباحث عن سفك الدماء، واغتصاب النساء، والتنكيل بالمناضلين الأحرار والمجاهدين زمن الاستعمار/ الاحتلال المباشر للأراضي العربية. وهو/ المرأة

---

(١) الرواية السعودية واقعها وتحولاتها: د/ حسن النعمي من صـــ٩- ١١ بتصرف.

اللعوب التي تستقبل الشاب العربي وسرعان ما تحيط به من كل جانب، حتى تجهز عليه ليعود إلى وطنه منكسرا مهزوما، أو فاقدًا لوعيه وذاته العربية.. وهذا الملمح في كثير من الروايات العربية.

وهو المستشرق المتعصب السَّاعي لتدمير العقل العربي بأفكاره وقراءاته التي يدعي أنها تنويرية وهي في الحقيقة تختلف عن فكرنا وثقافتنا العربية الإسلامية. ولا يكتفي بفرض فكره وثقافته وقراءاته، بل يُشكّك فيما أنجزه العقل العربي من نجاحات في الفلسفة والعلوم والآداب في العصور الإسلامية الزاهية. وذلك بردّ تلك النجاحات إمّا لأُصول جنسية غير عربية كالفرس والترك والهنود، وإمّا لقصور في العقل العربي، زاعمين أنَّ العرب ناقلون لا منتجين لذلك الإرث الفكري والثقافي الخالد، وأنهم ترجموا تلك العلوم من لغاتها القديمة كاليونانية والرومية والهندية والفارسية إلى اللغة العربية، دون أن يكون لهم دور في إضافات علمية عقلية لأصول هذه العلوم تُذكر.

والآخر أيضا هو الذي يعيش بيننا من "دمنا ولحمنا" من أبناء جلدتنا، لكن الواقع كما تمثلته الرواية العربية– وبخاصة في بدايات الألفية الثالثة– يعكس له صورة مختلفة في طباعها وتفكيرها وولائها للذات العربية/ الأنا التي خرج من عباءتها وجاء من غرسها. وهذه الصورة نراها في المسيحي المتعصب، أو الليبرالي، أو الحداثي، أو العولمي أو العربي الذي هاجر إلى الآخر وسكن أرضه وعاش حياته بكل أشكالها وآمن بقوته وهيمنته!!

والآخر الذي يتمظهر اليوم في النص الروائي العربي. هو أيضا المستعمر، المحتل، الدموي، المدمر للأرض والحضارات، صانع التلوث الفكري، هو المهيمن الذي "يمارس إستراتيجيته إسلام عمومي متشدّد وعدواني في المخيال والتصورات الواهمة، مفضلا هذا كله على الدراسة العلمية الوصفية. لأن المشروع الحضاري الغربي يُصادر لحساب حفنة من الأيديولوجيين والسياسيين الذين يداعب خيالهم استراتيجيات الهيمنة، ويزعمون أن الحضارة الغربية مقدر لها أن تنوب عن المجموع

الإنساني، الذي عليه أن يرى نفسه دائما في مرآة الغرب"[١].

والآخر هو السائح الغربي المار على الأرض العربية آمنا على نفسه مرور الكرام دون أن ينتبه للحالة الحضارية الجديدة للبلدان العربية ظنًّا أنه سيزور أماكن ما زالت تعيش ظلمات القرون الخالية، فيصاب بصدمة كبيرة حين يقف على هذا التطور العلمي، لاسيّما الأكاديمي، وينبهر بالمؤسسات الثقافية الوطنية التي تؤمن بحقيقة الذات العربية، ويكتشف أن المرأة العربية لم تعد أسيرة "سي السيد" فقد خرجت من حريم السلطان، وانخرطت في المشهد العربي العام مع الرجل، سياسية، وكاتبة، ومثقفة، ومفكرة، وقانونية، وإدارية ناجحة، بل وداعية إسلامية، وتُتْقن إلى جانب كل هذا أكثر من لغة أجنبية، ويعجب حين يرى "الأطفال العرب يلحسون الآيس كريم على الشواطئ، بينما كان يحلم بأن يراهم حُفاةً عُراةً يجرون وراء قطعان الماعز الهزيلة، كما يقول الروائي التونسي إبراهيم درغوثي.

إن هذا التلون اللانهائي للآخر/ الغرب الذي يسعى اليوم للنيل من كل شيء جميل في حياتنا العربية، ومن كل شيء عزيز غالٍ علينا.. مثقفينا، مفكرينا، مبدعينا، شبابنا، بل عقيدتنا– قد فضحته الرواية العربية في سردها الواعي، الذي كشف وجوهه وملامحه ومخططه، حتى يمكن القول: إننا ن جد صوت وصدى هذا الآخر فارضا نفسه بوضوح في أعمال الروائيين العرب لاسيما الجيل المعاصر. وسوف تتناول هذه القراءة بعض الأعمال الروائية لكُتّاب عرب من مصر والسودان ولبنان والسعودية وتونس والمغرب والإمارات، أمثال: بهاء ظاهر، ويوسف زيدان، ونجيب الكيلاني، ومحمد عبده، وسهيل إدريس، والطيب صالح، وبهاء الدين الطود، وعصام خوقير، وفؤاد صادق مفتي، وطاهر أحمد الزهراني، وناصر عبد الله الهواوي، أثيل عدنان، صنع الله إبراهيم.. دون أن تكون ملمة بأعمال أخرى، لا تقل أهمية، وإن ضاق المجال في هذه القراءة الاستكشافية عن تناولها.

كما أنه يعسر أن ندّعي في هذه الصفحات الإلمام بجميع الإشكاليات التي يُثيرها الروائيون العرب في سردهم غير تمثيلاتهم للآخر/ الغرب في أعمالهم، كمظاهر

---

(١) الاتجاه الإنساني في الرواية العربية: د/ مصطفى عبد الغني صـــ١٣٠.

الإعجاب والافتتان به في حضارته وثقافته، بل في عاداته وتقاليده، وصدامه معنا، أو هيمنته الاستعمارية إلى أن وصلوا إلى انكسارات وانتكاسات الأبطال العرب (في السرد الروائي) على عتبات هذا الآخر.

-٢-

وهذا الموقف نلاحظه في رواية (الحي اللاتيني) للكاتب اللبناني سُهيل إدريس، الذي لم يستطع العيش في عالمه العربي مفضلا الرجوع إلى الحي اللاتيني مرة ثانية/ الآخر الغرب، مؤكدا ضرورة الالتفاف حول الغرب والانطلاق من عباءته (أقصد هنا فتاه/ بطل الحي اللاتيني) وإن كانت الأبنية السردية ودلالاتها في الرواية تقول شيئا آخر يرتبط بسهيل إدريس نفسه الذي عاش فترة ليست بالقصيرة في باريس/ الحي اللاتيني!!! عاش خلالها فتاه/ بطله فترة عصيبة، وتأزما نفسيًّا بسبب التمرد على واقعه العربي أصابه ذلك بالحيرة، والتشتت الفكري إلى أن عاد إلى وطنه.

بيد أن مظهرا من مظاهر سلطوية الآخر/ الغرب كان قابعا في أعماق الفتى العربي، يعيشه ولم يبرحه. إذ إن الآخر/ الغرب لم يثبت عنه أنه قد تنازل عن أيّ حيّ على ذلك – إنما هو من يُلحق الهزائم بالآخرين، ويأبي إلا أن يطرد من احترقت بطاقة هويته الغربية من رحمته إلى الأبد حينما يتمرد عليه؛ لأنه وببساطة شديدة لا يقبل في هذا الوجود إلا صوته!!.

وها هو ذا فتى "الحي اللاتيني" يؤكد هذا الفكر الغربي السُّلطوي؛ ففي حين كان قد تعرف على فرنسية وعاشرها معاشرة الأزواج، وحين عرف بعد أن عاد إلى موطنه العربي أنها تعالج آلام الحمل، وضرورة العودة إليها للوقوف بجانبها واجبا مقدسا. والرمز يبوح هنا بكل وضوح بضرورة احتضان الغرب الآخر والذوبان في نسيجه ودمه، فإنه "وهو العربي" آثر ألا يعود إلى الغرب ثانية، وآثر البقاء في الشرق العربي ليبدأ النضال من أجل الوحدة العربية، وكانت علاقته بالغرب كانت يجب أن تكون عابرة، لا تحمل كثيرا من الارتباط، أن تكون بمثابة "علاقة تماس لا تهدف إلا إلى

تأكيد الذات[١]."

ومع ذلك، فإن الأحداث تشير إلى أنه عاش فترة ليست بالقليلة يحمل همًّا ذاتيًّا ثقيلا، مترددا بين البقاء في الوطن أو العودة إلى الغرب، بين السعي لتأكيد الهوية العربية في معزل عن المؤثرات الغربية، وبين العودة إلى الغرب منصاعا لقدره، من ضرورة تأكيد الذات في ظل الوجود الغربي وتحت حضارته[٢]...

ومع ذلك، فإن نفسه التي نازعته طويلا للعودة إلى الحي اللاتيني/ الغرب الآخر، ما لبثت أن دفعت به بالفعل للعودة إلى الحي اللاتيني/ الغرب/ الآخر من جديد، موليا وجهه وقلبه وعقله نحو محبوبته "جانين" بفرنسا، معرضا عن موطنه العربي، وما كان يحتاجه منه في هذه الحقبة التاريخية (الخمسينيات) حيث كتبت الرواية في عام ١٩٥٤م. كاشفا عن سقوط فكري، وعجز عربي، وضعف نفسي، حينما أعلن عن رغبته الأكيدة، والأثيرة إلى نفسه وقلبه من الزواج بفتاته (جانين)/ المعادل الموضوعي للآخر/ الغرب. لكنّ الآخر فاجأه بالحقيقة التي غابت عن ذهنه وتفكيره، في أنه لا يقبل القسمة على اثنين، ولا يثق فيمن يتمرد على شرعيته ووجوده، والتوحد والتفرد له بالولاء. فإذا بفتاة الحي اللاتيني ترفض الارتباط به والعودة معه من جديد، حيث تقول له:"لقد اجتمعت أمس بإنسان لا أعرفه، بشاب أنكرته، وكأنني ما لقيته من قبل قط. كان هذا شعوري بعد أن تركتني.. و.. لسنا على صعيد واحد.. لا، لن أذهب معك، .. وعُدْ أنت يا حبيبي العربي إلى شرفك البعيد الذي ينتظرك ويحتاج إليك"[٣].

ولا شكّ أن جوهر السرد هنا يكشف عن رسالة كاتبنا سهيل إدريس بعد أن وقف على حقيقة الآخر/ السلطوي، والتي تتمثل في وصف العلاقة بين الشرق والغرب بالعلاقة غير الشرعية، والتي رمز لها بعلاقة الفتى العربي بفتاة الحيّ اللاتيني الفرنسية (جانين) غير الشرعية، ويعني أيضا على مستوى الرمز أنه –حتى– لو رغب الشرق

---

(١) تجربة البحث عن أُفق: إلياس خوري صـــ٢٢، ٢٣، منظمة التحرير الفلسطينية– مركز الأبحاث– بيروت – لبنان– ١٩٤٧م.

(٢) الاتجاه القومي في الرّواية: د/ مصطفى عبد الغني صـــ١١٣.

(٣) تجربة البحث عن أُفق: إلياس خوري صـــ٢٨١، ٢٨٢. وهي الدراسة التي قدمها إلياس خوري لرواية "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس.

العربي في الزواج بالغرب/ بالارتباط به، فإن الطرف الآخر/ الغرب، سيرفض هذا العقد، إلا في حالة واحدة، هي: أن يتمّ سيطرته التامة عليه، وطنا وجسدا، وهويّة وعقلا، فالعلاقة يجب ألا تظل قوتها أو ضعفها في يد الشرق العربي، وإنما يجب أن تكون في يد الغرب دائما كما أكّد السرد السابق، وكشفه على لسان فتاة الحيّ اللاتيني التي رفضت فتاها العربي الذي أنكرته بعد عودته مرة ثانية إليها عارضا الزواج والارتباط بها.

والسرد هنا حقّق غايته بوصفه "وسيلة جبّارة في نسج وإعادة تكييف الأحداث الواقعية والمتخيلة وتوزيعها في ثنايا النص الروائي، وتمثيل المرجعيات الثقافية الثقافية، والتعبير عن الرؤى والمواقف الرمزية، فلم تعد الرواية رهينة التوثيق التقليدي، إذْ تشقّقت التجربة التقليدية التي واكبت نشأة الرواية وتطورها، وذلك يعود إلى تحول جذري في منظور الروائيين للعالم الفني الذي يشكّلونه في نصوصهم، ونشوء حساسية تضع نفسها في تعارض مع القيم الفنية التي أفرزها المسار التقليدي للرواية. أصبحت الرواية إلى جانب وظائفها التخيلية، التمثيلية، والإيحائية، (أداة بحثٍ) بها يمكن استكشاف العالم والتاريخ والإنسان، لم تعد نصا خاملا يحتاج إلى تنشيط دائم، إنما انطوت على قدرة خاصة حينما وضعت نفسها في خضم التوتر الثقافي العام، فأصبح العالم بأجمعه موضوعها[١]"

وقد سلك الكاتب العربي السوداني الطيب صالح هذا المسلك بالرواية في أنّها قد وضعت نفسها في خضم التوتر الثقافي في العالم، فأصبح العالم بأجمعه موضوعها حيث ظهر ذلك جليا في روايته الشهيرة (موسم الهجرة إلى الشمال) حينما توهج سردها من حالة ترحال كاتبها هنا وهناك، وتنقله بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، مما أكسبه خبرة واسعة بأحوال الحياة والعالم من حوله. وأهم من ذلك أحوال أُمته وقضاياها، وهو ما وظّفه في كتاباته وأعماله الروائية وبخاصة في هذه الرواية العالمية (موسم الهجرة إلى الشمال) التي نشرت لأول مرة في أواخر الستينيات من القرن العشرين (١٩٦٧م) في بيروت. والتي تُعد واحدة من أفضل مائة رواية في العالم

---

(١) الرواية العربية الأبنية السردية والدلالية: د/ عبد الله إبراهيم صـــ٨٩ طبعة أولى- مؤسسة اليمامة الصحفية- الرياض ١٤٣٨هـــ=٢٠٠٧م.

باعتراف الأكاديمية العربية في دمشق عام ٢٠٠١م، ووصفها بـــ"الرواية العربية الأفضل في القرن العشرين[١]" بعد حصولها على العديد من الجوائز العالمية.

وغير خاف على الناقد الحصيف أنّ رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" قد نالت شهرتها من كونها من أولى الروايات التي تناولت بشكل فنّي ذلك الصدام بين الحضارات لاسيّما بين الشرق والغرب، أو بين العالم العربي والآخر/ الغرب. ذلك الصدام الذي تجلّى في الأعمال الوحشية دائما، والرفيقة الشجية أحيانا لبطل الرواية "مصطفى السعيد"، الذي آثر الاقتراب من الغرب/ الآخر للاقتراب أكثر من الذات العربية، لكنه يرتطم ببيئة الآخر وواقعه ارتطاما عنيفا، حينما تولّد بداخله عقدة التفوق الغربي، وعايش حقيقة الغرب/ الآخر عن قرب مكان الصدام بين الشرق والغرب.

هذا الصدام نراه في علاقته بالأنثى الغربية؛ تلك العلاقة القائمة على القتل والدموية.. علاقة نهايتها الموت. حيث نرى البطل مصطفى ينتقم لذاته العربية بحسّ العربي الذي لم تذُبْ شخصيته في الآخر كلية، ولم تبرح وجدانه عادات وتقاليد وطقوس وعقائد بلاده، مما ظهر جليا في صلاة الأب أو أوراده، أو في العودة إلى الذوبان في البيئة السودانية عبر الحكايات الشعبية والخرافية والأساطير سواء بسواء. بل لم ينس موروثه الإنساني الخالد، فيذكر نماذج عديدة من أشعار أبي نواس؛ وتتوق نفسه وتحن لعصر المأمون مؤكدا أنه خرج من عباءة عربية أصيلة، وما زالت الدماء العربية تجري في عروقه وأوصاله، إلى غير ذلك من تأثير هذا اللاشعور الذي ظل مسيطرا على الطيب صالح حتى أصبح محورا مركزيا في دائرة فكره، ودفع ببطله لينتقم لذاته من الآخر/ الغرب في شخص الأنثى الغربية مقابل سنوات الذل والقهر والاستعمار لينتهي بها الأمر لقتل نفسها بنفسها؛ فتأتي الدلالات السردية في النهاية مؤكدة أنّ الأنثى في "موسم الهجرة إلى الشمال" ضحية لرجل دائما/ هو البطل العربي وعطيل القرن العشرين!! وهذا ما لم نقبله من الطيب صالح الذي فضّل العيش في لندن بصحبة زوجه الإنجليزية!! .. وقرأ كثيرا من الروايات الأجنبية ووقف بالتأكيد على

---

(١) جريدة الجزيرة السعودية: العدد (٩٣ ١٣٢) الخميس ٢٤ صفر ١٤٣٠هـ=١٩ فبراير ٢٠٠٩م صـــ١٣.

طبيعة الأنماط التي نسجتها المخيلة الروائية الغربية في سياق المواجهة مع الآخر/ العربي، والتي شوّهت صورته الخيرة مما توقفت عنده الناقدة السعودية لمياء باعشن في دراستها الرائدة النادرة "صورة العربي في الرواية الغربية" من خلال قراءات عديدة لروايات غربية متنوعة(١)"

"فالشخصية العربية الواردة في الرواية الغربية لها طبيعة حربائية، تتلون لكنها تبقى حرباء. وسواء كان العربي بدويا همجيا يكذب ويقطع الطريق، أو كان صوفيا صافي الروح حكيما، وسواء كان عاشقا يخطف النساء، أو متعصبا لا يهدأ إلا بقتلهن، وسواء كان إرهابيا يلوّح بالقرآن ويخطف الطائرات، أو مزودا العالم بالبترول وهو يتمرغ في الثروات؛ فهو يظهر في كل الأحوال في أشكال انتقاصية تُغيّب ملامحه الإنسانية وتحيطه بغلالة يصعب معها تحديد هويته أو تمييز آدميته. هذه الأنماط المتأرجحة تنضبط على معيار واحد: العربي مرادف للخطر وتهديد التوازن السلمي في العالم(٢)"

والطيب صالح من خلال عالم (وسم الهجرة) المفعم بالطاقات المتباينة من الدلالات الفكرية ووظائفها الفنية التي ظهرت عليها شخصية بطله في تراوحها بين السلب والإيجاب، وبين الرفض والقبول، وبين القوة والضعف، وبين الحب والبغض، وبين الولاء والعداء، والحياة والموت.. يُقدم من خلال هذا العالم المتلاطم الرؤى، والمضطرب نفسيا، والمتباين هوّية- عطيلاً جديداً في بلاد العرب هو مصطفى سعيد، وقد صرح بذلك حينما كان يُقْرنُ في ذهنه ومخيلته كثيرا بين عطيل (الغربي) وعطيل (العربي)، كما جاء في هذه المناجاة للذات، والتي كشفت دلالة الأنموذج بوضوح وجلاء.

---

(١) منها على سبيل المثال: - رواية "الشيخ" للبريطاني E.M.Hull (إي إم هل) - ثلاثية الأميرة سلطانة: لمؤلفها جان ساسون Jean Sasson - التعويذة: للكاتب السير والتر سكوت Sir Walter Scott - سلسلة روايات: رباعية الإسكندرية للورانس دوريل Lawrence Durrell - رواية الحاج: للكاتب ليون يوري.

(٢) مجلة رؤى: صـــ١٩ العدد الخامس عشر- ذو القعدة ١٩٢٨هـــ-ديسمبر ٢٠٠٧م. فصلية ثقافية تصدر عن النادي الأدبي بحائل.

"نعم أنفك مثل أنوف العرب في الصور. نعم هذا أنا، وجهي عربي كصحراء الربع الخالي، ورأسي أفريقي صور لطفولة شريدة[١]، رائحته رائحة الأمطار في صحارى بلاد العرب[٢]".

وهنا لا نملك إلا أن نقول: إن متعة الطيب صالح قد دفعت به هنا لمشاهدة ذاته/ الأنا في شخصية (عطيل/الغربي) متغافلا الضرر الذي ألحقته شخصية هذا البطل بصورة العربي لاسيما البطل/ مصطفى سعيد. ومعلوم للطيب صالح ولكل مهموم بالإبداع العربي أن عطيلا كان أنموذجا مناسبا لشكسبير أظهر من خلاله حماقة الرجل الذي يسهل استثارته بكلمة تزرع في نفسه الشكوك، فإذا به يتهور ويندفع باندفاع الدماء في عروقه دون أن يتحقق، وفي ثورة غضب طائشة يتحول إلى وحش قاتل لا يُشفي غليله سوى سفك الدماء، ومَن من الأجناس يتناسب مع هذا المطلب؟ العربي! ليس إلا!! والذي اختاره الطيب صالح، ربما ليس عن قصد، وربّما الأخرى.

بينما الرجل العربيّ ضحية – أيضا– لظروف مجتمعية ساهم في خلقها مجتمع الضحية/ الأنثى/ الغرب/ الآخر بشكل ما. رُبّما يكون في بطش الآخر وهيمنته الاستعمارية والفكرية حينما حاول (عطيل العرب) أن يستوعب حضارة الغرب دون خوف أو رهبة منه، واهما أنّ لديه القدرة على الفعل والإنجاز ومجابهة هذا الغرب العتيد بأسلحته. وربما يكون في هذا التصور المجحف للعربي الذي نصّ عليه إدوارد سعيد في قوله "بأن التصور الغربي للعلاقة التي تربط بين الشرق والغرب له بُعد جنسي يعكس الأدوار، فالأنثى البريئة الأوروبية هي الشرق الساذج الذي يمارس عليه الغرب قوّته الذكورية، والرجل الشرقي هو المقاومة البربرية التي يسعى المغرب المتحضر إلى كسرها وتقويمها[٣]، عبر الغزو أو الاحتلال أو فرض وقته بأشكالها المختلفة من هذا المنطلق تعامل الغرب السلطوي/ المتجبر مع العربي المقهور بكل عنف واستبداد، وكثير من ملامح وجه الغرب الرديء. وحديث العربي مع نفسه في هذا السرد الروائي يرسم أبعاد هذا الخطاب:

---

(١) موسم الهجرة إلى الشمال: الطيب صالح صـــ٣٦ روايات الهلال– القاهرة– مايو ١٩٦٩م.

(٢) المرجع السابق صـــ١١٧.

(٣) مجلة رؤى: العدد الخامس عشر– ذو القعدة ١٤٢٨هـــ– ديسمبر ٢٠٠٧م صـــ٣٣– ٣٤.

"حين جيء لـــ"كتشنر" بمحمود ود أحمد وهو يرسف في الأغلال بعد أن هزمه في موقعة "اتبرا" قال له: لماذا جئت بلدي تخرب وتنهب؟. الدخيل هو الذي قال ذلك لصاحب الأرض، وصاحب الأرض طأطأ رأسه ولم يقل شيئا. وليكن ذلك أيضا شأني معهم. إنني أسمع في هذه المحكمة صليل سيوف الرومان في قرطاجة، وقعقعة سنابك خيل "الينبي" وهي تطأ أرض القدس: البواخر مخرت عرض النيل أول مرة تحمل المدافع لا الخبز، وسكك الحديد أُنشئت أصْلا لنقل الجنود، وقد أنشئوا المدارس ليعلمونا كيف نقول "نعم" بلغتهم. إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوروبي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثيله من قبل في "السوم" وفي "فردان". جرثومة مرض فتّاك أصابهم منذ أكثر من ألف عام. نعم يا سادة، إنني جئتكم غازيا في عقر داركم. قطرة من السُّمِّ الذي حقنتم به شرايين التاريخ(١)"

لكن البطل العربي مصطفى سعيد الذي ذهب إلى الغرب لأول مرة متقمصا شخصية الآخر الأقوى/ الأعلى، وفي أعماقه ماردٌ عربيٌّ، – لم يبرحه ولم يتمكن من الخلاص منه– لم يعد هو الذي عاد منه آخر مرة. لقد تبددت أحلامه في غزو الآخر، الذي انتهت رحلته على أرضه هناك، أصبح فجأة فريسة مستساغة، عاشقا قتيلا بعد أن فقد كلَّ حيلة للنجاة من قبضة هذا الآخر!! لم تكن لي حيلة. كنت صيَّادا فأصبحت فريسة، وكنتُ أتعذب(٢)" وهو/ الغازي المنتحر "أنا العاشق الذي جاء من الجنوب، وهذا هو ميدان المعركة الجليدي الذي لن أعود منه ناجيا.. (٣)"

والحقيقة والواقع يؤكد أن البطل العربي في رواية موسم الهجرة إلى الشمال/ مصطفى سعيد/ الشرق العربي لم ينج حتى اليوم في صدامه غير المتكافئ مع الشمال/ الغرب/ الآخر، الذي تسلّح بالقوة والعنف والخداع مع الحضارة المادية والوعي المخادع والفكر العلماني المدمر، بينما البطل العربي– المقتول/ المنتحر/ المُعدم لا محالة– يُقبل عليه غازيا وهو خالي الوفاض من الوعي والمعرفة وإدراك حقيقة هذا الآخر، تلك الحقيقة التي لا تُقاوم إلا بالعالم والوعي والتقدم والتطور. واكتفى بطلنا –

---

(١) موسم الهجرة إلى الشمال: صـــ٨٠.

(٢) المرجع السابق صـــ١٢٨.

(٣) المرجع السابق صـــ١٢٨.

بطل موسم الهجرة، بل أبطالٌ كُثر ضجّ بهم السرد العربي الحديث- بالتسلح بالجنس ليس إلا، حيث يلوذون بالمرأة الغربية التي توهموا أن النصر في أحضانها، ولقاء الشرق والغرب في فراشها، بينما هي في الحقيقة الوجه المخادع للغرب/ الآخر الذي يكتب دائما نهاية الشرق العربي/ البطل العربي.. قتلا أو انتحارا أو ذبحا أو إعداما أو احتلالا. أو فقدا للوعي أو الهوية!!.

عبر هذا الاشتهاء المدمر تحددت كثير من العلاقات بين الأنا/ الذات العربية" و"الآخر/ الغرب". على سبيل المثال لا الحصر، موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، أو قنديل أم هاشم ليحيى حقي، أو عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، أو لحظة ضعف لفؤاد صادق مفتي، أو السنيورة لعصام خوقير، أو السّاخن والبارد لفتحي غانم، أو الحيّ اللاتيني لسهيل إدريس، وغيرها، وغيرها من الروايات التي لو تأملناها مليا لوقعت أعيننا على هذه المفارقة العجيبة وهي" أنّ الأنا/ الذات العربية يمثلها رجل، بينما الآخر/ الغرب يُمثله امرأة[١].

فهذا مصطفى سعيد في موسم الهجرة إلى الشمال في مقابل نساء الغرب، وهذا إسماعيل في قنديل أم هاشم في مقابل ميري، وهذا حسن في عصفور من الشرق في مقابل سوزي، وهذا طارق في لحظة ضعف في مقابل ليزا، وهذا حسين في السنيورة في مقابل ماريانا الإيطالية، وهذا بطل سهيل إدريس فتي الحيّ اللاتيني في مقابل جانين الفرنسية، وهذا يوسف منصور في الساخن والبارد في مقابل جوليا جونارد، والأمثلة كثيرة على ذلك الاشتهاء الذي سيطر على شهريار العربي حينما سعى إلى هذا الدرب الموحش ليعيد منه سنوات العمر التي ضاعت منه إبّان احتلاله وغزوه. متوهما أنه متفوق عليه حينما أعلن أنه يغزوه في نسائه دون أن يعي أن في ذلك نهايته وانتكاسته المدمرة.

هو ذا الرابط المشترك أيضا بين روايتي "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب

---

(١) الرواية السعودية واقعها وتحولاتها: حسن النعمى صـــ٥٢ بتصرف.

صالح، و"البعيدون[١]" لبهاء الدين الطود. كلاهما كان مسكونا بهاجس البحث عن حل لمعادلة لم نجد لها حلا حتّى اليوم.

"الأنا ما زال هو "الأنا" بنك وصيته المأساوية، أو هروبه الدائم إلى الأمام، أو المراوحة بين "الهُنا" و"الهُناك" بلا أفق، ولا أمل في المستقبل والآخر ما زال في حالات كثيرة، هو الآخر استعماريا متعجرفا لا يحضر الآخرون في ثقافته إلا باعتبارهم ما يثير عوالم السحر والبداوة والتخلف والدونية. وضمن هذا "الصراع الحضاري" يندرج حضور الجسد النسائي في الروايتين معا، فأداة الصراع وسلاحه هي "المُدية" الذكورية التي لا تمل ولا تكل، أما مجاله فهو الجسد النسائي بكل حمولاته الرمزية المتنوعة؛ فالمرأة "الموسم.." كما هي في "البعيدون" هي موضوع الجنس والاشتهاء والانتقام، وكل الاستيهامات الذكورية الأخرى كالامتلاك والتحكم والسيطرة وإثبات الذات.

فبطل "موسم الهجرة.." مصطفى سعيد حلّ بأرض الشمال غازيا/ الغرب الآخر، كل زاده "مُدية" ذكورية!! وحقد تضيق به نفوس العالم أجمع. عاث فسادا في أجساد العذارى، ودكّ بمديته كل الحصون المنيعة، فتهاوت "قلاع الشرف الأوروبي تحت وطأة أقدام الفارس الغازي" ليعود إلى بلاده نسيا منسيا، ويموت غرقا في النيل السوداني.

بعد ذلك يحل "إدريس" بطل "البعيدون" لبهاء الدين الطود بالأرض نفسها أيضا على هيئة الغزاة القدامى شاهرا "سيفه" في وجه عذارى مدريد ولندن وباريس، ويفعل بـــ"مُديته" ما فعله سلفه مصطفى سعيد وغيره، فمثله كان يملك قلبا يحترق حقدا ورغبة في الانتقام من "عدُوّ" لا تنال منه سوى "المُدية" التي يحملها ذكرٌ جُرّد من كل شيء عدا "فُحولته" ليعود مرغما إلى أرض الجنوب مجنونا، ويموت غرقا هو الآخر بعد أن

---

(١) البعيدون: رواية لبهاء الدين الطود صدرت في طبعتها الأولى عن منشورات الهلال بالقاهرة، وصدرت طبعتها الثانية عن منشورات دار الهلال بالقاهرة، وصدرت طبعها الثانية عن منشورات السليكي خوان، طنجة.

جرفته مياه سيل جارف[١]"

وقد أكد الغرب/ الآخر على هذا البُعد الأُنثوي الذي تشبثت به الأنا/الذات العربية واشتهت بشراهة؛ جاء ذلك في كتابات الغرب الروائية كما نرى في رواية "الشيخ" للبريطاني إي إم هل E.M.Hull الصادرة في عام ١٩١٩م حيث تدور حكاياتها حول شيوخ عرب فاحشي الثراء يقطنون الأمكنة النائية التي تتصف بالغرابة وعدم الاعتياد. كل الأبطال أقوياء، بشرتهم داكنة، يرتدون الأرواب الفضفاضة، ويمتطون ظهور الخيول، ويخطفون النساء البيض، ويحملوهن إلى (الحريم)، مخزن النساء المستعبدات. وهم يستغلون طهر وبراءة المرأة الأوربية التي تنجذب إليهم في علاقة حب وكراهية عجيبة، ثم تنجح في ترويض الجانب الجامح في دواخلهم، وهكذا تنتصر القوة الأنثوية بذكائها ودهائها وأوروبيتها!!

وهذا ما دفع إدوارد سعيد للجزم بأن التصور الغربي للعلاقة التي تربط بين الشرق والغرب- كما ذكرت آنفا- له بُعد جنسي!! [٢].

ناهيك عن الروايات الغربية الأخرى ودورها الرئيس في تشكيل الرأي العام وفي التأثير على صنع القرار في الغرب/ الآخر، وذلك بعدم التعاطف مع العرب، وبتغذية خرافات ومبالغات بعينها عن المسلمين وإلصاق التهم بالترويج لصور مشوهة وسلبية ومهينة نعرفها جميعا ولا أريد إثباتها هنا.

ومع اكتشاف هذه الحقيقة يُصر كثير من الروائيين العرب على إقرار أن الزواج أو العلاقة بالأنثى/ الغرب لا غيره من العلاقات الإنسانية هو المدخل الأثير لغزو ا لآخر، وإن ظهر الهدف الأول عند العديد من الأبطال، فبعضهم ليس له من هدف غير إشباع غريزته الجنسية ورغباته أولا، فها هو ذا الروائي المغربي محمد زفزاف في روايته "المرأة والوردة" يُصر على أن يأتي على لسان بطله العربي المغربي بالعجب العجاب،

---

(١) للمزيد حول انتكاسات الأنا/ الذات العربية أمام الآخر/ الجنس يُراجع هنا: السرد الروائي وتجربة المعنى: سعيد بنكراد من صـــ١٩٨ وما بعدها. طبعة أولى- المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب ٢٠٠٨م. - مجلة رؤى: العدد الخامس عشر- ذو القعدة ١٤٢٨هـــ=ديسمبر ٢٠٠٧م صـــ٣٣.

(٢) مجلة رؤى- العدد الخامس عشر – ذو القعدة ١٤٢٨هـــ=ديسمبر ٢٠٠٧م صـــ٣٣.

ويُلقي في نهاية الرواية بالصاعقة حين يصيح مخاطبا محبوبته الغربية الدانماركية.. "سوزان.. أُحبك وأحب الدانمارك، أنتظرُ دائما أن تنقذيني[١]"

والرواية على الرغم من أنها تزخر بضروب النقد للغرب الحضاري غير الإنساني، الذي يمسخُ عالمه آدميّةَ الإنسان وكرامته، إلا أن الروائي العربي يُصر على العودة في نهاية روايته مؤكدا على مغالطة كبيرة في حق الذات العربية من أنها لم تجد الخلاص من ويلات واقعها المتردي إلا في أحضان الغرب/ المنقذ/ المخلص، وهي مغالطة وقع فيها كثير من كُتَّابنا وروائيينا، ممن عاشوا في أحضان المرأة/ الغرب التي سرعان ما تسلبه إرادته وعقله، وتُنسيه هويته العربية، ويتحول الغرب الاستعماري اللاإنساني لديه هو رمز الخلاص وقبلته، ومنقذه مما يحيا فيه من تراجع اجتماعي أو ثقافي أو سياسي، فهل يطلب الحَمَلُ من الذئب إنقاذه؟!

"غير أننا لا بد أن نضع هذا الفهم في الإطار النقدي العام للتجربة الروائية التي لا تنفي الطابع النقدي للرواية "ما دامت تطرح في بنائها العام إشكالية الوضع الاجتماعي الداخلي" فضلا عمّا يؤكده هذا من أن اختيار الغرب هنا لم يطرح قط، اللهم إلا من داخل هذه العلاقة النقدية التي كما ترى في هذا الغرب من شر كذلك، لا تستبعد ما في خسارة من خير.

فالنظرة الواعية تشير إلى أنّ "هاجس الغرب هنا – كما يقول الكاتب المغربي حميد الحميداني: هو جزء من الكيان، إنه الشطر الآخر من الذات الذي لا نستطيع أن نتخلص منه مهما حاولنا ذلك، ومهما شغلنا بالادعاء بوطنية فكرية خالصة، وضيقة، ذلك أنّ أكثر الناس تقليدية، وسلفية هو أيضا منغمس بتفكيره في الغرب رغم العداء الكبير الذي يظهر عليه نحو هذا الغرب[٢]"

ولعل هذا الانغماس في الغرب هو قدرنا في العصر الحديث، ولا يمكن الفكاك منه خاصة مع زيادة هذا الحراك الاجتماعي وانفتاح المجتمع العربي على الآخر الغرب "إما وافدا إلى البلاد الغربية لحاجات التنمية الاقتصادية والتربوية والاجتماعية،

---

(١) المرأة والوردة: محمد زفزاف صـــ١١٠، ١١٥– منشورات جافوري– بيروت– لبنان ١٩٧٢م.

(٢) في التنظير والممارسة: دراسات في الرواية المغربية: د/ حميد الحميداني صـــ١٢٤ طبعة ١٩٨٦م. والاتجاه القومي في الرواية: د/ مصطفى عبد الغني صـــ١٣١.

أو ذهابا للآخر للدراسة أو السياحة أو التجارة أو العمل حتى أصبح الآخر حاضرا بقوة في حياة المجتمع العربي، وتحوّل وجوده بيننا أو الذهاب إليه ضرورة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية عسكرية[١]!! ورغم كل ذلك يبقى الآخر هو العدو المرفوض، أو الضيف البغيض أو هذا الخصم الذي وإن كان يعيش بيننا ونعيش فيه، فإنه يظل العدو أو الخصم الذي يقف موقف العداء من ذواتنا ولا نقبله وإن ألقت الأيام بنا في أحضانه لأنه خارج الانتماء العربي، وهو ما صورته رواية "السنيورة[٢] للكاتب عصام خوقير.

حيث تدور حول رحلة حسين/ البطل العربي الذي يُولي وجهه شطر روما لدراسة الموسيقى، وهنا يلتقي بفتاة أحلامه الإيطالية "ماريانا" التي يقع في حبها، ويتقدم للزواج منها، وتوافق أسرتها، ويقضي العروسان شهر العسل في أسبانيا، حيث يطلعها على مآثر الحضارة العربية هناك في ذلك الفردوس المفقود، ويأخذها إلى مصر، حيث يتأملان التاريخ المصري القديم. وعند العودة إلى السعودية يحدث الصدام بين الشرق والغرب، فتنقسم الأسرة/ المجتمع العربي حيال قبول الآخر/ هذا الزواج، فبينما تقبل أم حسين هذا الزواج وتباركه، يرفض الأب لأن الزوجة غير مسلمة، لكن "ماريانا" تسلم بعد أن أنجبت طفلها الأول.

إن الصراع مع الآخر صراع مستديم، وعميق. فوالد حسين يرفض زواج حسين من فتاته الإيطالية. فهل جاء الرفض لأنها غير مسلمة؟ إن كان كذلك، فهو رفض إيديولوجي مسبق تتحكم فيه أزمة اللقاء الحضاري. كما أن الرواية لا تفصح عن موقف الأب بعد إسلام الزوجة "ماريانا" وهو ما يرجح الموقف السلبي من الآخر بالمطلق، وليس على المستوى الشخصي. ولعلّ في قبول أم حسين هذا الزواج ومباركته ما يمكن أن نرى فيه قدرا من الرؤية البعيدة التي يمكن أن يكون هذا اللقاء فاتحة للتقارب لا التباعد. وهي رؤية أختلف مع الدكتور النعمى فيها. إذ إن البطل العربي في جُلّ علاقاته مع الغرب/ الآخر.. جاء فاشلا بكل المقاييس.

وقد اعترف الدكتور النعمى بهذا في الكتاب نفسه حينما تعرض لرواية فؤاد

---

(١) الرواية السعودية واقعها وتحولاتها: د/ حسن النعمى صـــ٥٠٠ بتصرف.

(٢) السنيورة: رواية عصام خوقير– جدة– تهامة ١٤٠١هـــ=١٩٨٠م.

صادق مفتي "لحظة ضعف[١]" التي لم يجد فيها بطله طارق خيارا آخر لتأسيس علاقته بالآخر إلا عن طريق الزواج، ورغم أن هذا الزواج يثمر عن طفل، فإنه ينتهي بالطلاق. ولعل العنوان يُجسد فكرة الرواية من حيث العلاقة مع الآخر، وكأن الخطاب يفصح أن التقارب مع الآخر الغربي على وجه التحديد نقطة ضعف يجب توخي الحذر من الوقوع فيها. فمنذ بداية ارتباط طارق بـــ"ليزا" وهو يعيش تجربة انحسار نفسي ومعنوي أدَّى به إلى الضياع. لقد تعلق طارق بـــ"ليزا" ولم يستطع أن يقاوم جاذبيتها، فيتزوجها دون أن يخبر والديه إشارة إلى حالة الاستلاب وعدم الاتكاء على مرجعية تحميه من السقوط.

فالرواية تشير- وهي ترسم رحلة طارق/ البطل العربي في الغرب- إلى ضعف العلاقة بين الذات العربية والآخر الغربي على وجه الخصوص على الرغم من تأسيس العلاقة على مبدأ رباط الزواج، فإنها علاقة مستحيلة للتباين بين كينونتين باعتراف الدكتور النعمى صراحة بذلك[٢]"

-٣-

ومع مزيد من غطرسة الآخر/ الغرب، وهيمنته السياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية، تبقى الصورة مرفوضة ومنفرة، وفي الوقت نفسه ماثلة في مخيلة الروائيين العرب ممن تمظهر هذا الآخر في سردهم بأنماطه المختلفة التي تبعث على الكره والبغض، فهو العدو، وهو الخصم، وهو الشر، وهو الفساد، وهو المحتل، وهو الجاسوس. وقد علت هذه النبرة في المجتمع العربي بعد تغيير خطابه العالمي مع العالم العربي عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، وتوزيع التهم على العرب بالجملة.. فهم إرهابيون، وهم أعداءٌ للسلام، وهم دَمويُّون، وهم.. وهم.

وقد اشتغلت الرواية العربية بهذا الموضوع؛ تُسجّل وترصد، وتعري هذا الوجه القبيح للآخر عبر سرد واع أدرك أصحابه رسالتهم في مواجهة هذا الآخر وكشف حقيقته ولو بالكلمة/ الرسالة/ القضية.

---

(١) لحظة ضعف: رواية فؤاد صادق مفتي- جدة – تهامة ١٩٨١م.

(٢) راجع هنا للمزيد: الرواية السعودية واقعها وتحولاتها صـــ٥١ وما بعدها.

ولا بد أن نعي تماما أن الغرب/ الآخر عائد إلى المجتمع العربي ليشيع بين أبنائه الرذيلة والفساد والخواء الروحي، ويعود به إلى عصور التخلف والانحطاط ليضمن الهيمنة التامة بلا مقاومة. وقد جسَّدت رواية "الدراويش يعودون إلى المنفى[١]" للروائي التونسي "إبراهيم درغوثي" هذا المخطط من خلال شخصيتها المحورية على امتداد سردها وهي شخصية الغربي "فرانسوا مارتال" الجاسوس/ المدمر للمجتمع العربي.

فالغربي "فرانسوا مارتال" هو ذلك المستشرق القادم من فرنسا في زيارة للجنوب التونسي، وتحديد المكان غير ضروري لأن كل الأرض العربية عندهم واحدة. ومن يقرأ نص الرواية تبدو له حقيقة هذه الزيارة التجسسية، وإن بدت ترفيهية في ظاهرها.

إن هذا الآخر/ الفرنسي "فرانسوا مارتال" يحمل داخل اسمه دلالات لا تخطئها الذاكرة الجمعية العربية كما أشار لها الكاتب "إبراهيم درغوثي". إذ هو ومن خلال الدلالة الجمعية مشتق من فعل Marteler ومنها marteau أي المطرقة، ويعني الضرب العنيف. أما في الدلالة التاريخية فهو لقب القائد الإفرنجي Charle Martel الذي أوقف الفتح العربي لأوروبا في معركة بلاط الشهداء جنوب فرنسا، بعد أن اكتسحوا أسبانيا، ودان لهم الحوض الغربي لبلدان البحر المتوسط.فهل عاد Martel في ثوب جديد. حضاري هذه المرة ليضرب بمطرقته على الرؤوس التي تجرأت على الاستعمار، وطالبت بحقّها في بقعة تحت الشمس؛ ليعدها ذلك الغربي إلى جادة الصواب؟!!

إنّ جادة الصواب عند هؤلاء هي إقامة حلقات ذكر ودروشة يمتزج فيها الشعر الصوفي لمولانا جلال الدين الرومي والحلاج بقناني الخمر المُعَتّقة المستوردة من فرنسا، و الخمرة المستخرجة من جمار نخيل بلاد الجريد والمخدرات الوطنية والمستوردة،وبالسّهر حتى آخر الليل في حفلات مجون وعربدة؛ لينتهي كل ذلك بمخابرة هاتفية يجريها فرانسوا مارتال مع ذوي الأمر من المهتمين بشؤون الإسلام في بلاده يخبرهم بحالة الضياع والغياب التي يعيش فيها المسلم العربي الآن. هنا تظهر

---

(١) الدراويش يعودون إلى المنفى: رواية لإبراهيم درغوثي – طبعة دار رياض الريس– لندن ١٩٩٢م.

حقيقة هذا الآخر الذي جاء ليدمي الشباب العربي، ويعود به إلى عصور التخلف والانحطاط. وهي صورة مفزعة تُضاعف من المأساة التي يعيشها المجتمع العربي لا سيما بعد اغتيال التراث العربي بيد الجهل؛ ممّا أشار إليه الروائي التونسي في "الدراويش يعودون إلى المنفى".

ولم يلبث الكاتب التونسي "إبراهيم درغوثي" أن يُعرض أكثر بهذا الآخر كاشفا عن وجهه المخادع، وهو يعدد صوره التي تشكل وتكوّن خلالها في روايته "أسرار صاحب الستر[١]، فقد حضر الآخر فيها في ثلاث صور:

- **الصورة الأولى:** وهي الصورة الرئيسية، وتتمثل في حضور عالم آثار "غربي، مستشرق، يدّعي الإسلام" إلى بلاد الجريد للتنقيب عن بقايا الخوارج الإباضيين الذين هيمنوا على الحياة السياسية في هذه الرقعة من الأرض طيلة عدة قرون. وأثناء بحثه في بقايا الجامع الذي درس فيه "مخلد بن كيداد" – الملقب بـــ"صاحب الحمار"– الثائر على الدولة الفاطمية، يقع على كشف مذهل يتمثل في مخطوط يحكي الأسرار الخفية للخليفة الأموي الوليد بن يزيد المتهم بالمجون والكفر، فيطنب الحديث عن هذا المخطوط وينسى مهمته الرئيسة المتمثلة في إعداد بحث "سُوسيو ثقافي" عن هذه الواحة الصحراوية التي امتزجت فيها الأعراق والأديان المختلفة من بربر وعرب وزنوج وشيعة وسنة وخوارج. فالآخر هنا وإن ادّعى الإسلام يظل مشكوكا في صحة إسلامه لأنه تجرّأ على النبش في المسكوت عنه من خلال حياة خليفة للمؤمنين عاش عمره بالطول والعرض.. "الوليد بن يزيد"
- **الصورة الثانية للآخر في هذه الرواية..** هي صورة الزنوج القادمين من أفريقيا جنوب الصحراء، فهم يظلون عبيدا يُنظر إليهم نظرة دونية؛ لأنهم يشتغلون بالأعمال الوضيعة التي يمتنع البيض عن القيام بها، كدقّ الطبول في الأفراح والمآتم، وإفراغ المراحيض من الفضلات البشرية بالنسبة للرجال، والإشراف على نظافة البيوت، وإعداد الطعام، وجلب الماء من العيون بالنسبة للنساء، وقد ظل الأسياد لوقت قريب يستنكفون من مجالسة السّود، وقد زال هذا السلوك الإنساني اليوم. إلا أن لهؤلاء السُّودان رهبة في

---

(١) أسرار صاحب الستر: رواية لإبراهيم درغوثي – طبعة دار صادر– تونس ١٩٩٨م.

عيون البيض، فاللون الأسود سحري (الكلب الأسود، القط الأسود، والتيس الأسود.. هي حيوانات تتلبسها أرواح الجن) حسب المعتقد الشعبي لدى بعض البلدان العربية. ومن هنا صار للعبيد السّودان أولياؤهم الصالحون وزواياهم الخاصّة وهي كثيرة على امتداد التراب التونسي.

ومن هذه الزوايا زاوية سيدي مرزوق (بنفطة) هذا الولي لم يصل لرتبته تلك إلا بعد أن خدم وليّا أبيض أعطاه بركاته وزكّاه للوصول لرتبة وليّ. فالنظرة الدونية للجنس الأسود التي تصل حدّ التفرقة العنصرية معترف بها، ومكرسة في الواحات الصحراوية الممتدة من (تافلالت) بالمغرب الأقصى إلى (الكفرة) بليبيا مرورا (ببسكرة) الجزائرية، و(قابس ونفزاوة) بتونس.

- **أما الصورة الثالثة للآخر في رواية (أسرار صاحب الستر)** هي صورة اليهودي في المخيال الشعبي. فهو شخصية مهمشة محقّرة دون رتبة العبيد خاصة للطبقة الوضيعة من هذه الطائفة كالأُجراء والتجار الصغار (تجار القفة) والنساء العاملات في المواخير ودور اللهو الأخرى.

والمعروف أن كثيرا من اليهود عاشوا في البلدان العربية الإسلامية، وإن لم يتعرضوا لاضطهاد كبير كما هو الحال في معظم دول العالم، وبخاصة في المجتمعات الأوروبية القديمة، فإن العداء يظل قائما بين أصحاب الديانتين لينفجر في الوقت المناسب وبخاصة من طرف الطبقات الدنيا من المسلمين.

وقد تعرض "بنحاس" اليهودي تاجر (القُفّة) في الرواية للقتل والرجم بعد أن وقع اتهامه بعملية زنا مع زنجية أنكرت الفعلة متعالية على اليهودي: تطهّرت بالماء، ووضعت يدها على نسخة قديمة من القرآن، وحلفت بأنّ زوجها رماها بهذه التهمة، وبأنها أشرف من أن تُمارس الرذيلة مع يهودي[١]!!!

ولتغلغل نزعة الكره العربية للآخر الذي مارس مع المجتمع العربي شهوة الامتلاك والسيطرة والغزو، والتدمير والإبادة.. جاءت نبوءة الروائي العربي إبراهيم درغوثي بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي هزت الغرب عن بكرة أبيه، وليس أمريكا وحدها. تنبأ

---

(١) أسرار صاحب الستر: إبراهيم درغوثي صـــ١٤.

بذلك قبل وقوع هذا الحدث العالمي بسبع سنوات في روايته الرائدة "القيامة الآن[١]" حيث كان حضور الآخر فيها في شكل استحضار لشخصيات أسطورية هي في الأصل عربية المنشأ، إسلامية الهوى، لكن الكاتب ألبسها لبوس الغرب وجعلها تتزيَّا بزيّه.

ففي فصل "علامات القيامة" وهو الفصل الأول من الرواية يأتي بذكر الدَّابة مصاحبة للأعور الدّجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، وكلها من علامات يوم القيامة. وهي – أي الدّابة– كما أطنب في الحديث عنها القتبي في موسوعته "عيون الأخبار" وحْشٌ جمع من خلق كل حيوان. فلها رأس فرس، وأذن فيل، وقرن أيل، ولون نمر، وصدر أسد إلى غير ذلك. وبين كلِّ مفصل ومفصل منها اثنا عشر ذراعا. هذا الحيوان الأسطورة الخارج من رحم التراث العربي الإسلامية صار في الرواية القرد "كينج كونج في الشريط الشهير.

ولا شك أن الذي سوف يأتي ذكره في الرواية الصادرة عام ١٩٩٤م– ما وقع لمدينة نيويورك في أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م التي هزت الدنيا ولم تقعدها إلى اليوم – كان أمنية عزيزة تمناها كل عربي تجرّع آلام الأسر الأمريكي للعالم العربي النفسي والعقلي والفكري والثقافي.

يقول الكاتب الروائي: "يومها حدث زلزال عظيم، تحرّكت الجبال ذات اليمين وذات الشمال، وطغى الماء في المحيطات، وتساقطت ناطحات السحاب الواقفة في شوارع نيويورك على الأرض، وتحوّلت في غمضة عين إلى ركام من البلور المهشم، والفولاذ والحديد، وظهرت الدابة شيئا فشيئا حتّى بلغ رأسها السحاب، وما خرجت رجلاها من التراب. هربا لناس في كل الاتجاهات، وتنادوا إلى الفرار بعد أن عادت بهم الذاكرة إلى الشريط السينمائي الذي صوّر العملاق "كينج كونج" وهو يهاجم مدينة "نيويورك". لكنهم هذه المرَّة عايشوا الأحداث بأنفسه. صاروا ممثلين حقيقيين[٢]".

أزعم أن السارد في هذا النص كان يقصد التَّشفِّي من هذا الغرب/ الطاغية/ الآخر في صورة أمريكا المفزعة، البديل الجديد للاستعمار القديم المتمثل في إنجلترا

---

(١) القيامة الآن: رواية إبراهيم درغوثي – طبعة أولى– دار الحوار– اللاذقية– حلب – سوريا ١٩٩٤م.

(٢) القيامة الآن: صـــ٢٢ وما بعدها. للمزيد عن هذا المشهد.

وفرنسا خاصة في الشرق العربي. أو السادة الجدد الذين سيطروا على العالم العربي بعد صراع عنيف من الإخوة الأعداء.. الإنجليز والفرنسيين. هذا الصراع الذي صوره الروائي العربي "عبد الرحمن منيف" في صور متعددة في روايته "سباق المسافات الطويلة[١]" فالعم "بول" يريد أن يستمر في الشرق، والعم "سام" جاء ولا يريد أن يعود خاوي الوفاض خاصة أن أحلامه للسيطرة على هذا الشرق كانت وصلت إلى درجة لم يستطع التراجع عنها.

وهذه الهيمنة جسّدتها رواية "مكاشفات البحر الميت[٢]" للكاتب المصري "أحمد محمد عبده" بكل وضوح وعلانية وبكل تحدّ استفزاز من هذا الآخر، وإن استخدم الكاتب هنا الرمز، لكن لغة السرد والحكي في الرواية أعلنت عن شخصية الخنزير الأبيض/ الآخر/ الغرب/ أمريكا العدو، المحتل، المغتصب.

يقول الكاتب/ البطل/ ابن حتحوت، وهو يمتطي ظهر الحوت يجوب الآفاق والأراضين باحثا إكسير الفحولة والرجولة والنخوة لبني وطنه في منقلبه الخامس:

"راح الحوت ينزلق على الجليد الملتهب، المنصهر، والمُوحي بشكل ساحات جهنم.. انطلق يعبر السهول والوديان متجها صوب الجنوب، كنت ألمح تناطح أمواج الخليج الهادر عن شمالي، الأمواج كانت تشبُّ في الفضاء، يزيدها هياجا ذلك الزعيق المتواصل للبوارج والغواصات، حينما كانت تهبط عليها الطائرات. كانت رؤوس الأمواج تشرئب مخترقة الفضاء، كأنها تريد أن تطفئ الشمس!

رأيت على الشاطئ امرأة.. عريضة المنكبين، طويلة الساقين، وارمة النهدين، سمينة الوركين، متكورة الردفين، كانت ترقص رقصة غجرية، شبقة، تحيطها نغمات صاخبة لموسيقى تكاد تنطق بحدّة للحنٍ نعرفه.. ونحنُ لسماعه: "يابا عبد الفتاح.. صاح العنب صاح.. نادي ع الناطور.. يعطينا المفتاح"!!

كانت الغجرية تُوقّع في غنج بقدميها وساقيها ووسطها وذراعيها على حِدّة

---

(١) سباق المسافات الطويلة: عبد الرحمن منيف صـــ٢٤٦ – طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت–يوليو١٩٧٩م.

(٢) مكاشفات البحر الميت: أحمد محمد عبده – طبعة ٢– دار الإسلام للطباعة والنشر– القاهرة ٢٠٠٨م.

النغمات، وبعد أن هدّها عنف الرقص، مدّدت جسدها، فكان بطول الشاطئ، وكأن الشاطئ تشكّل على هيئتها. وبعد أن نامت، زحف من الخليج خنزير أبيض، هجم عليها، برك فوقها، وانهمك يُضاجعها. سألت الحوت: ما هذا؟.. فأشاح برأسه لأعلى أكثر من مرة في محاولة لإسكاتي.. [١]".

وفي صورة أخرى مأساوية يرسم الكاتب الروائي ابن حتحوت واقعية المجتمع العربي/ الأنا العربية المنكسرة أمام وحشية الآخر/ الغرب.. فيقول وهو بصحبة حوته: "وفي ظلام اللُّجة انسرب الحوت، شق المرجان، وانزلق فوق اللؤلؤ، وصلنا إلى ربوة في قاع المحيط، هدّأ من سرعته، توقّف، رأيتُ على سفح الربوة قطيعا من الماعز، كل معزة يسْحَبُها رجل مكسور الرقبة على صدره مثلي!

هل سأعود إليهم ورقبتي مكسورة، ويروونني هكذا.. مثلهم؟

لعلهم يفرحون، ويقلعون عن اتهامي في نسائهم..

وفي غفلة من "الرجال" .. برك على كل معزة.. خنزير، زعقت المعيز، جأرت استغاثت ومأمأت، فراح "الرجال" يستغيثون بـــ"جناح[٢]" أن يصرخ فيها.. يُخيفها!. التفتُّ خلفي، فلم أجد "جناح"! نادوا على الحوت أن يصرخ في الخنازير.. ينهرها! تحسست المتن الذي أمتطيه.. فلم أجده تحتي!! اكتشفتُ أني أركب ظهر اللُّجة![٣]

ومن الملاحظ في الجزأين السابقين أن شعور ابن حتحوت/ البطل العربي قد تنامى في الوصول إلى الحقيقة حينما سافر إلى عوالم مجهولة عبر رحلة كشفية "على ماءا لشمس" ممتطيا ذلك الحوت، ورؤيته المرأة الغجرية بأوصافها المتورمة أنثويا، وذلك الخنزير الأبيض الذي تمكن من جسدها، لكن ابن حتحوت/ الأنا العربية لم يتمكن من الدفاع عنها، وتكرر هذا المشهد مرة ثانية مع قطيع الماعز/ رمز العروبة، وهجوم الخنازير للمرة الثانية على هذا القطيع الذي انقطع أمله في وجود منقذ.

إن هذه الصور تُمثل حال الواقع العربي المؤلم في مواجهته المتواضعة مع الآخر/ الصَّدى هنا، فالمرأة التي تمددت بطول الشاطئ إنما هي رمز للأمة العربية/

---

(١) مكاشفات البحر الميت صـــ٦٢.

(٢) جناح: اسم جِنّي.

(٣) مكاشفات البحر الميت: صـــ٨٣، ٨٤.

المجتمعات العربية التي يتوركها اليوم حفدة القردة والخنازير/ اليهود الذين يمثلون صدى الآخر في مجتمعاتنا، والبطل "ابن حتحوت" الذي اقتربت رأسه من صدرها كلما شاهد هذا المشهد المأساوي إنما هو صورة الإنسان العربي الذي انحنت هامته، وانكسرت شوكته اليوم أمام الآخر، بل فقد فحولته/ رجولته أمام قهر هذا الخنزير الأبيض/ الآخر/ الغرب/ المحتل المهيمن، الذي أفلح الكاتب في استخدام القناع أو المعادل الموضوعي(١) لوجه هذا الآخر، ووجه العربي المنكسر المتراجع في هذا العصر، ربما لجأ إلى هذه الفنية تجنبا لمواجهات أمنية في وطنه، هو في غنى عن التعرض لها.

وتتعدد صور الكره لهذا الآخر/ الخنزير الأبيض، والرغبة في الانعتاق من أسر هذا الواقع العربي الأليم بكل صراعاته وتناقضاته. وتتحد هذه الصور الجزئية لتشكل الخطوط العريضة في لوحة الصراع الكبير الذي تعيشه الأمة مع الآخر/ الغرب في حاضرها، ويعيشه الإنسان العربي/ الفرد/ الذات/ الأنا في كل مكان على ظهر البسيطة لا على الأرض العربية وحسب أقوال وأفعال وإرادة، حيث تتحرك الرغبة في تجاوز ابن حتحوت / البطل الحاضر الكائن في محاولة الفرار منه، والبحث عن عوالم أُخرى جديدة شخوصها متناقضون بين مستسلم قادم من كهوف الصحراء. يصرخ.. ويولول.. ويلطم خَدّه.. ويندب حظه وواقعه ليس إلا!! وآخر ينطلق على صهوة جواده إلى عوالم الحلم الممكن يُسابق الريح بحصانه/ رمز الفحولة والرجولة العربية/ الخلاص من مرارة الواقع العربي الآسن، شاهرا سيفه للإجهاز على ذلك الخنزير النجس الذي وعى تماما نقطة ضعف الإنسان العربي/ البطل. فقد لاذ بالفرار داخل

---

(١) قال عن المعادل الموضوعي في الفن الناقد والشاعر الإنجليزي ت.س. إليوت، في مقال له مشهور بعنوان "هملت" عام ١٩١٩م: إن الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في صورة الفن إنما تكون بإيجاد معادل موضوعي. انظر هنا للمزيد:

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، وكامل المهندس صـــ٣٧٠ طبعة ٢ مكتبة لبنان- بيروت-١٩٨٤م.
- دراسات في نقد الرواية: د/ طه وادي صـــ٣٢- طبعة الهيئة المصرية للكتاب- القاهرة ١٩٨٩م.

محمية لحام الحمى/ المعادل الموضوعي للمسجد الأقصى هنا والذي يعبث به الآخر/ اليهود دون جدوى، متخذا إياه درعا يحتمي به.. ليظل الفارس/ البطل العربي/ المقاوم منتظرا له، أملا في خروجه الذي طال أمده!!.

يقول الكاتب/ البطل/ ابن حتحوت في هذه اللُّوحة المتصارعة، المواجهة للآخر: "اقتربت من نهاية الخليج، وقبل أن نصل إلى منعطف الركن الخالي، وإذا برجال ينسلون من جهات شتّى، من جُرف البحر، ومن كهوف الصحراء، راحوا يصرخون بأعلى أصواتهم، لا ينادون على أحد، ولا هم يستغيثون بأحد، ثم راحوا يلطمون. كأنه نذرٌ عليهم أن يُقيموا مندبة وملطمة في هذا المكان، وكل من ينضمُّ إليهم يصرخُ مثلهم.. دون أن يسأل.. علام يلطمون؟

ثم تحوَّل الحوتُ فجأة، وفي انكسارة حادة نحو اليمين، كِدتُ أنقلب من حدتها، راح يخترق الحدود والسدود، يزيح من أمامه الأسلاك الشائكة والفاصلة، بين الإمارات والمقاطعات والمحميّات. وفي استدارة أخرى أكثر حدة اتّجه ناحية الشمال، زغللة بحر الشمس المنصهرة تترقرق على كثبان الرمال، عن شمالي جبال من أمواج مخروطية، في لون الشفق الأحمر الفاتح، كانت تخترق بطن الغلاف الأزرق، يطالنا منها طرطشات ورزاز، وإذا بفارس ينخز جواده بهمة، كان الحصان يرمح وراء الخنزير الأبيض المطلوق، انتهى من الفريسة الممدودة على الشاطئ، ويبدو أنه يتجوّل باحثا عن وليمة أُخرى!!

رأسي تميلُ إلى صدري أكثر!

الحصان يرمح، والخنزير يهرع أمامه، الفارس يُشهر سيفه في الهواء، يُسابق الريح وراء الخنزير الجامح، كاد الفارس يُجهز عليه.. لكن..!

النجس.. كيف عرف نقطة الضعف؟

تداخل في محميّة لحامي الحمى!!

اتخذها درعا يحتمي بها..

توقف الفارس على باب المحميّة في انتظار خروجه! (١).

---

(١)مكاشفات البحر الميت صـــ٦٣، ٦٤.

والمشهد السردي السابق –كما ترى– يؤكد ذلك الصراع العصري الدائر بين الآخر/ الغرب بكل وجوهه وملامحه، وأصدائه، وبين المجتمع العربي/ الذات العربية على امتداد الأرض العربية التي انتهك أعزها حتى اليوم، واستبيحت مقدساتها. واكتفينا بلطم الخدود، وشق الجيوب، والعويل والصراخ، والشجب والاستنكار، اللهم إلا ذلك النتف القليل من جيوب المقاومة المتفرقة هنا وهناك!! والتي تمثل استمرارية وجود الأمة العربية الحقيقي، وديمومة صراعها مع الآخر من أجل البقاء".

وهو صراع سرعان ما ينتهي بالغلبة لهذا الآخر؛ لأننا حتى اليوم لم نعرفه جيّدا، حتى الذي عرفوه عن قرب من أبناء الأمة انقسموا على أنفسهم: فريق أعلن الولاء والطاعة، ورفع لواء حوار الحضارات، وجنة الحداثة والعولمة، وتيار التنوير. وفريق آخر تصادم معه لأنه لا يملك فكرا عقلانيا يُقاومه به من خلاله.. فكرا يُشكل إستراتيجية دولية أُعدت وولدَت في بلاد العرب تُواجه هذا الآخر/ الغرب بصوت عربي احد يُعبّر عن ذات عربية واحدة منطلقة من تراثها بوصفه وعيا علميا، وسلاحا معرفيا، يتحول إلى قوة مادية من قوى التغيير في حياتنا المعاصرة، وفي صراعنا الحضاري والوجودي مع الآخر/ الغرب.

إن التراث –كوعي– "هو أحد محددات الوجود الاجتماعي، الماضي والراهن، فهو كنتاج ثقافي لمرحلة اجتماعية ما، يلعب دورا في صياغة توجهات المرحلة، وصراعاتها، وحلولها، وتحققها فيما بعد. بوصفه رصيدا حيّا موروثا من الخبرات العملية، التي تغطي المواقف المختلفة، وخاصة الحرجة في الحياة الاجتماعية، ورصيدا من التصورات والمثل والقيم، وقواعد السلوك والأفكار للقوى الاجتماعية والفكرية الماضية، يصبح سلاحا في يد القوى الجديدة حينما يُلبّي احتياجاتها الاجتماعية والفكرية الجديدة؛ ليلعب دورا فاعلا في الوجود الاجتماعي والثقافي والسياسي المعاصر[١]، وهو ما بدأ يلتفت إليه الكثير من الروائيين العرب بحثا فيه عن حقيقة موضوعية في واقعهم المعيش عبر فضاءاتهم السردية.

هذا الواقع الذي أدانه ابن حتحوت؛ لأنه رأى فيه ضياع الذات العربية

---

(١)بحثا عن التراث العربي: رفعت سلام صـــ٣٠٦، ٣٠٧ – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة ٢٠٠٦م بتصرف.

وتراجعها، أمام الآخر، فكل شيء من حولنا "يتفزّر أنوثة ورقة ورهافة.. فتيات بيضاوات.. صفراوات.. شقراوات.. خضراوات .. حمراوات.. خمريات.. بنفسجيات.. مشفوطات بسرنجات الرشاقة والوسامة، والرّقّة والسمسمة، وكذلك النمنمة. تأوّدٌ خفيف.. شفيف.. رهيف.. عنيف!! في رقة أوراق البنفسج، وتوحش أشواك الأنوثة، مُسبلات العيون، فاغرات الأفواه، سائلات اللعاب، هائجات الشّعر والشُّعور[١]". وعلى الجانب الآخر: "أصداغ الرجال ملساء، وشعورهم مرسلة ومتهدلة على جبينهم وأكتافهم وظهورهم.. ضحكاتهم طويلة.. ناعمة ممتدة.. ياايْ[٢]"

ومثل ها الكشف وهذه التعرية لعالم المحمول، عالم التوحش الجنسي العلني السافر على الفضائيات، إنما هو إدانة من البطل/ ابن حتحوت لواقعه الذي افتقد الرجولة/ الفحولة/ البطولة/ النخوة العربية، وضجّ بالأنوثة الرخيصة التي مآلها كما ذهب ابن حتحوت "القبح والدمامة والعفن والعطن[٣]" التي هي من موروثات الآخر، والانفتاح على الآخر، وتجسيد الآخر، وحرية الآخر..

هذه الحرية التي غرسها الآخر في نفوس العرب.. داخليا وخارجيا؛ ممّا أشارت إليه "مريم" بطلة الأديبة الأردنية "دعد رشراش الناصر" في روايتها "مخيم يا وطن[٤]".. تقول مريم: "حينما ذهبت إلى أمريكا بصحبة أبيها وأسرتها للعيش هنا بعيدا عن اليهود، مصورة الآخر/ رمز الحرية المطلقة غير المحدودة.

في ولاية "متشجن" التي كنت أعيش فيها لم أكن أبصر روح الله في شيء.. حتى القيم والمبادئ التي نشأت عليها كنت أدركتها من صلب أمريكا.. أبي لا يصلي.. أمي لم ترتد الحجاب ذات مرة.. وكنت أشعر بسعادة غامرة مع أصدقائي الأمريكان!!!.. كنت واحدة منهم، لا أختلف عنهم بشيء، إلا اللون الأسمر واللكنة العربية التي أتقنتها بحسب أصلنا العربي.. وقد أصّل ذلك طبيعة الولاية التي أعيش

---

(١) مكاشفات البحر الميت: صـــ٤٦، ٤٧.

(٢) مكاشفات البحر الميت صـــ٤٨.

(٣) مخيم يا وطن: رواية/ دعد رشراش الناصر- طبعة أولى- رابطة الأدب الإسلامي العالمية- الناشر العبيكان- الرياض ١٤٣١هـــ=٢٠١٠م.

(٤) المرجع السابق. صـــ٩٢.

فيها، فهي تحوي أكبر جالية عربية في أمريكا.. لا أخفيك يا ياسر.. إن أمريكا رائعة.. يحيا المرء فيها بأجواء ساحرة رائعة، وكأنه يعيش في كوكب آخر[١]". إنه التحول اللا فكري/ اللا أخلاقي/ اللا إنساني/ اللا ديني الذي نجح فيه الآخر/ الغرب.

ولعلَّ رواية "أمريكانلي[٢]" – للروائي المصري صنع الله إبراهيم– من الروايات التي اتسمت بالجرأة والصراحة حينما جسَّدت علاقتنا المعاصرة الشائكة بالآخر/ الغرب، ونقلت بدقة وفنية تحولات الخطاب العالمي المُزيَّف للآخر/ الغرب ضد الشرق العربي (الإرهابي) حسب زعمه. كاشفا هذا الافتراء الكاذب، مواجها بكل وعي وإدراك ممارسات الآخر الإرهابية مع العالم أجمع، وهيمنته على الشعوب وعقولها!!! وهو ما ظهر جليا في فلسفة العنوان الذي اختاره الكاتب بعناية وبُعد نظر لروايته، حينما جَزَّأه إلى مقاطع ثلاثة (أمْري– كان–لي) مؤكدا بهذه الصياغة أنّ الأمر كان بيده، وقراره كان يملكه، ولكن بعد أن هيمنت أمريكا/ الآخر أصبح الجميع في يدها، وأصبحت الأمور (أَمْرِيكَانلِي) كما كانت من زمن بعيد (عُثْمانلي) إبان الحكم العثماني لمصر، والذي فرض على الشعوب العربية.. بما فيها مصر.. سطوته بهذا الفرمان العثمانلي "حضرة السلطان مقدس وغير مسئول".

وصنع الله إبراهيم نجح في اختيار عنوانه الذي جذب انتباهنا من أول وهلة واستثار حفيظتنا بهذا التشويق الذي يشير في العمل الأدبي عموما" إلى ترقب القراء والنظارة لما ستكون عليه الأحداث في رواية أو قصة أو غيرهما.. [٣]" وسرعان ما يتمظهر في "كل ما يعمد إليه الكاتب من حيل، وما يعرضه من أشياء.. تشد القارئ إليها[٤]".

---

(١) المرجع السابق صـــ٩٢.

(٢) أمريكانلي (أمري كان لي): رواية: صنع الله إبراهيم– طبعة أولى– دار المستقبل العربي ٢٠٠٣م.

(٣) معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي صـــ٨٨ طبعة أولى– التعاضدية العمالية للطباعة والنشر– تونس ١٩٨٦م.

(٤) دراسات في القصة العربية الحديثة: محمد زغلول سلام صـــ٢٨ – طبعة منشأة المعارف– الإسكندرية– مصر ١٩٨٧م.

وتبدأ أحداث الرواية متمثلة الآخر/ الغرب في سردها فور وصول الأستاذ الجامعي المصري "شكري" لولاية فرانسيكو في الولايات المتحدة الأمريكية على أثر دعوة قدمها معهد علمي أمريكي يُعنى بالتاريخ المقارن للأستاذ الزائر ليقوم بدور أستاذا لتاريخ بهذا المعهد التابع للجامعة الأمريكية. وعليه أن يقدم لطلابه الأمريكيين – من ذوي الأصول والخلفيات الثقافية المتباينة.. من الأسود والأبيض، والهندي الأحمر والياباني، واليهودي والنصراني.. خليط من الأعراق الثقافات شكّل عجلة السرد الروائي في "أمريكانلي" بصوره السياسية والتاريخية والاجتماعية وكشف من جانب آخر حقيقة أمريكا الوجودي، والتي لا تمتلك أصولا أو وجودا إنسانيا – على أستاذ التاريخ المصري/ الذات العربية أن يقدم لهؤلاء جميعا صورة معرفية متكاملة الأبعاد عن هذا الآخر/ الغربي/ العدو/ المحتل/ المهيمن!!.

والرواية بهذا الطرح تُمثل تجربة رائدة ومختلفة عن السرد المعاصر لها خاصة وأنها اهتمت بتصوير رحلة إنسان واقعي إلى الآخر "الإنسان الإنسان، هذا الذي تكمن بطولته في أن يكون إنسانا حقا، لا إنسانا فائقا[١]" فلم يقف الكاتب عند مفهوم البطولة الخارقة أو المثالية. بل لجأ إلى الحقائق، والتصق بالواقع بشكل ملحوظ في حبكتها الروائية أو شخصياتها أو أحداثها، أو قضاياها ومشكلاتها الرئيسة، أو في بلدانها وبيئتها، وليس فيها من المتغير الروائي سوى اسم الأستاذ فقط ووظيفته، لكن الشخصية موجودة على أرض الواقع.

ويكفي ريادة هذا النص عنوانه المثير الجرئ، ثم اختيار كاتبه لبداية واقعية يعيشها المجتمع العربي في مصر.. أمريكانلي ذلك أنّ "المهم في اختيار بداية الرواية أن تشدّ القارئ إلى متابعة قراءتها، وأن تحوي على بعض التفاصيل التي تعينه على متابعة تدفق الأحداث الروائية، وفهم طبيعة الشخصيات، والتصرفات الصادرة عنها[٢].

---

(١) مواقف وقضايا أدبية: سهيل إدريس صـــ١١٢ – طبعة أولى– دار الآداب– بيروت ١٩٧٧م.

(٢) يراجع هنا للمزيد: النقد الأدبي الحديث: د/ محمد غنيمي هلال صـــ٥٤٩– طبعة دار الثقافة – بيروت ١٩٧٣م.

– الأدب وفنونه: د/ عز الدين إسماعيل صـــ١١٦ طبعة ثامنة– دار الفكر العربي– القاهرة– دت.

وأظن أن العنوان الذي ينبثق من النص ويدل عليه أو على بعض ما فيه، دون إغماض أو تعمية مطبقة، هو الأقدر على إحداث الأثر الفني ما توافرت فيه مظاهر الإبداع. لاسيما وهو الذي يُقدم للقارئ الرؤية الأولى لعالم النص وتجلياته، ويرمز إلى المفتاح المفضي إلى فهمه، وإدراك نفسية قائله(١).

ولا ريب في أن عنوان الرواية قد وصل بنا إلى دلالات السرد الخبيئة قبل الولوج إلى حكيه، فقد ناقشت العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والنفسية، منها إلى جانب تاريخ مصر القديم والحديث: التاريخ الأمريكي، وتداعي الأخلاق والأمن الداخلي. وكذلك بدايات الانهيار الاقتصادي الغربي، وتطور الجنس وتدهوره في العصر الحديث، وطبقة المثقفين المأجورين من الذين تحوّلوا واجهة ولازمة الطبقات حاكمة مستبدة أو عميلة للآخر، رسالتها التطبيع أو التشريع أو التلميع!!.

ويحتدم الصراع بداخل الروائي وهو يتحاور مع طلابه الأمريكيين معرفيا حول بلادهم وحقيقتهم. فعلى الرغم من أنه "يعرض لكثير من الصور السلبية في المجتمعات العربية نفسها، فإن صورة الآخر/ الغرب تظل أكثر ما يمكن التمييز فيها بين صورة الآخر كيف أصبحت معادية لنا تمام المعاداة، وصورة الذات العربية/ الأنا التي أصبحت تقوم بدور المستقبل دائما.. وأحيانا المندهش الذي يُحاول أن ينقل اندهاشه هنا بصورة تعكس – بالضبط- كيف يفكر هذا الآخر الأمريكي في أبناء المجتمعات العربية، وقد تحولوا الآن إلى لقمة سائغة في فمه..

إن الراوي في جولته في أحد الشوارع يدور بينه وبين بائع حوار يعكس صورتنا في الشرق العربي، وفي بلد كمصر في عيون هذا الآخر/ الغرب/ أمريكا من

- النقد التطبيقي التحليلي: د/ عدنان خالد عبد الله صـــ٧٧- طبعة أولى- دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد ١٩٨٦م.

(١) مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي: د/ عبد الله بن سليم الرشيد صـــ١٨، ٦٠ – طبعة أولى- نادي القصيم الأدبي- بريدة ١٤٢٩هـــ=٢٠٠٨م.

أثر الدعاية المخيفة التي تروعها أدوات الدعاية الأمريكية هناك[١]..."

كان أهم ما لفت نظره من شرائط الفيديو في الشوارع الأمريكية تلك الأفلام التي تُظهر الأمريكي على أنه "البطل" الوحيد في العالم في هذه الأفلام، خاصة فيلم "نافي سيلز" الذي تقوم فيه مجموعة كوماندوز أخرى بتدمير مجموعة إرهابية عربية تملك صواريخ "ستينجر" وتهدّد بها المدنيين الأبرياء. وفيلم "أكاذيب حقيقية" الذي أُنتج بعد حادث ضرب مركز التجاري العالمي في ١٩٩٢م، ويصور مجموعة إرهابية عربية تخطط لتدمير مفاعل نووي بالولايات المتحدة[٢]"

وقد نجح الكاتب في غرس ذلك الصراع بدواخل شخصية الراوي الذي أعلن عند ذلك الصراع وقلقه من الآخر، إذ إن الأشخاص "الذين يشعرون بالرضا والاطمئنان لا يصلحون لأن يكونوا شخوصا بارزين في الرواية[٣]" لاسيما الرواية الناجحة.

إن آلات الدعاية الضخمة تدور لتصنع من الشرق إرهابيا، ومن العقيدة الإسلامية عقيدة إرهاب، ومن ثم، يصبح الشرق الآن هو رمز للإرهاب الذي يُهدد عاصمة الحرية في العالم – واشنطن– وهو ما يدفع الرجل الأبيض المهدد بالقتل في أية لحظة للتنبه إلى هذا الخطر الآتي من بلاد العرب.. وبدأت آلة الإرهاب تصنع منذ اعتداء ١١ سبتمبر كما يُسمى– ليصبح ذريعة للتوسع في أقصى الشرق حيث الإمبريالية الجديدة.. فحين سأله البائع عن البلد الذي جاء منه.. من الشرق يدور هذا الحوار:

"قال: سمعت أنّ المسلمين عندكم يقبض عليهم وتُقَصّ لهم ذقونهم، وتمزق لهم ملابسهم؟ قلت: وأنا أيضا سمعت هُنا أنّ الأقباط عندنا يُقتلون ويُجبرون على تغيير ديانتهم

---

(١) الاتجاه الإنساني في الرواية العربية: د/ مصطفى عبد الغني صـــ١٣٢ وما بعدها.

(٢) أمريكانلي: صـــ٣٨.

(٣) فن كتابة الرواية: ديان دوات فاير. ترجمة د/ عبد الستار جواد صـــ١٥– طبعة أولى – دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد ١٩٨٨م.

والدخول في الإسلام[١]".

إن الصورة تزداد قتامة، إنّ آلة الإرهاب تعمل أكثر لتزيد الصورة هذا اللون الداكن أكثر؛ ليصلح المشهد الشرقي كله للاستباحة والسيطرة، إنّ الإرهاب أصبح يكرس للشرق الإسلامي ويُصنع له، حتى إن آلة الدعاية الضخمة في البنتاجون والأجهزة والمراكز البحثية والمخابراتية استطاعت أن تصنع من الإرهاب صناعة شرقية رغم أن العالم كُلّه يعرف اليوم من أين أتى الإرهاب؟ ومن أين يأتي؟

إن الراوي يعقب على مجيء إحدى الأمريكيات لتنضم إلى القاعة التي يُحاضر فيها، قائلا: "خاطبتني باعتدادٍ مُتسائلةً عند بلدي ثم عن "الإرهاب" وكان برفقتها أمريكي أبيض[٢]" لم يكن الحوار الذي هو الخطاب الذي يردد كل حين غير هذا الإرهاب الذي يأتي من الشرق..

ويلاحظ الراوي أن الإرهاب، وإن نجحت أجهزة كثيرة في أن تجعله مقصورا على الشرق، فإنّ الأمر لا يخلو من وعي البعض في القارة الأمريكية من أن الإرهاب أصله الآن في بلاد العم سام، إن "لاري" – وهذا هو اسم المثقف الثاقب النظر– يقول: إنّ "العقوبة" التي أوجعتني هما اضطراري لأن أستمع إلى خطاب كلينتون في الأمم المتحدة الذي دعا فيه العالم إلى مكافحة الإرهاب..).

ولم يلبث أن أوضح أكثر وهو يُعدد على أصابعه: "نسي كلينتون أننا نحن الأمريكيين مارسنا خلال مائتي عام أفظع أشكال الإرهاب الدولي. أبدنا عدة ملايين من السكان الأصليين في المكسيك، واحتللنا نصفها وقتلنا مائة ألف من المدنيين في "الفلبين" وبعد الحرب العالمية الثانية تدخلنا عسكريا في بلاد أجنبية ٧٥ مرة. قتلنا في "كوبا" ٣,٥ مليون مدني، وفي "فيتنام" أكثر من مليون وعشرة آلاف، في "نيكارجوا" و"هندوراس" و"هايتي" و"جواتايمالا" و"تشيلي". وأكثر من نصف مليون مدني في غارات جوية على "كمبوديا" وساندنا حكومة "جنوب أفريقيا" العنصرية في هجماتها على جيرانها التي قتل فيها مليون ونصف المليون من المدنيين" وهنا قاطعه بعضهم:

---

(١) أمريكانلي صـــ٣٨، والاتجاه الإنساني في الرواية العربية: صـــ١٣٣.

(٢) أمريكانلي: صـــ٨٨.

"نسيت إسرائيل[١]". ونسي في حالة النسيان هذه أن الأمة العربية تُحب وتعشق السلام، ولها عواطفها!! كما في رواية "جانجي" التي سجلت صورة مشرقة للعربي بعث بها للآخر عبر سرد واعٍ متقن.

ورواية "جانجي[٢]" للكاتب السعودي طاهر أحمد الزهراني أراها من الكتابات السردية التي بدأت في المواجهة العقلانية الواعية مع الآخر/ الغرب، وذلك حينما كشف الزهراني فيها عن إنسانية الشرق العربي/ الأنا الذي يملك كثيرا من مشاعر الحب، والأحلام السعيدة، والذكريات الجميلة، ويتمسك بالعلاقات الإنسانية الحميمة بوصف هذا الشرق العربي جسدا يتمتع بالروح والمشاعر والنفس المطمئنة الصافية.

وقد جسّد كاتبنا الزهراني تلك الإنسانية/ الذات العربية في الرمز/ السّارد/ الصَّديق/ الخِلّ الوفيّ الذي فقد صديقه فجأة بعد تورطه في سجن قلعة (جانجي) في أفغانستان، ثم وصوله إلى معتقل جوانتانامو المعادل الموضوعي للغرب/ الآخر، المهيمن، فيعلم السَّارد/ الصديق/ الخلّ الوفي/ أن صديقه في مأزق حقيقي، فقد وقع في الأسر لدى الآخر ويحتاج إلى مساعدة، ومدّ يد العون إليه حتى وإن انطوى ذلك على مخاطرة.

وتتوالى الأحداث وتتبادل الرسائل بين الصديقين لتشكل سردا واعيا/ فاعلا/ مقاوما لهذا الآخر الذي يقود حملة مسعورة بقيادة أمريكا- لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر- ضدّ كل ما هو عربي ومسلم، أولئك الذين – كما يعلنون دائما- يكرهون أمريكا وإسرائيل، كما يكرهون كل الأديان الأخرى، وكل من لا ينتمي لغير الإسلام، وأنهم يتعطشون دائما للدماء، وأنهم إرهابيون متطرفون، وأنهم.. وأنَّهم.. تُهم تطول وتطول!!.

إن رواية "جانجي" تُقدم للآخر الوجْه المشرق للعالم العربي في إنسانيته وحميميته، بوعي وإدراك من كاتبها لدور الرواية العربية اليوم في تغيير وجه ضمير العالم، دون أن تجنح نحو إدانة المجتمع العربي بوصفه مصدرا للإرهاب والتطرف

---

(١) المرجع السابق صـــ٣٩٦، ٣٩٧.

(٢) جانجي: طاهر أحمد الزهراني- طبعة دار رياض الريس- لندن ٢٠٠٧م.

على نحو ما أوردته بعض الأعمال التي تناولت هذا الموضوع، أو أوحت به منها روايات "هند والعسكر" لبدرية البشر(١)، و"الإرهابي" لعبد الله ثابت(٢)، و"أمريكانلي" للروائي المصري صنع الله إبراهيم.

ذلك أنّ طاهر الزهراني- على الرغم من وقوع بطله ضحية لظروف خارجة عن إرادته في براثن التطرف أودت به إلى غياهب معتقل (جاني) ومن ثم (جوانتانامو)- يحاول بكل ما يملك من أدوات فنية أن يستجلي ويستكشف أسرار بطله، ويقف على عوالمه الوجدانية الصافية، وحقيقة وجهه المشرق الذي يُسافر في كل الوجوه العربية المشرقة، ممّا يعكس رسالة إنسانية رفيعة مغلَّفة بالتعقل والتّحضر والوعي، مُجسّدة في صورة البطل العربي/ الذات العربية/ الشرق العربي؛ ومن ثم تصل هذه الحقيقة للآخر/ الغرب، الذي لم ير فيه – الشرق العربي- سوى القتل والتطرف والإرهاب، وتناسى صورته الحاضرة في ذهنية العالم المستضعف بأطرافها المتباينة.. من قهر، وحيف، وقمع، واستبداد، واحتلال. ناهيك عن ذلك الخرق الصريح لعقل هذا العالم المستضعف!!

ووفق هذا التصور الدلالي لهذا السر يَحِقُّ لنا القول: بأن النّصَّ الروائي هنا من خلال مجمل إيحاءاته، هو إحالة على صورة مثلى لبطل(٣)" عربي ارتآها السَّارد/ الصديق/ الخِلُّ الوفيُّ.. جميلة وعميقة وصادقة، فأحَبّ أن ينقلها للآخر/ الغرب عبر الرواية التي هي ديوانهم علّها أن تُحدث أثرا في ضمائرهم!!!

-٤-

ويتنامي الحدث الروائي في هذه الرؤى السردية العربية ليصل إلى ذروة الصراع مع الآخر/الصدى/ الأنا العربية، وليس الآخر/ الغرب/ الصوت الحقيقي للآخر. إذ إن الآخر هنا هو العربي الذي تحوّل في عين أخيه العربي إلى آخر مفزع، إنه المسيحي المتعصب الكاره لكل مسلم عربي، ولكل مسلم على ظهر البسيطة!!! نحن إذن أمام نمط لآخر أشد ضراوة علينا من الآخر/ الصوت/ الغرب، فأشد السهام وأخطرها هي التي تأتيك من مكمن الأمن.. من أخيك.. من بني جلدتك.. من بني

---

(١) هند والعسكر: رواية بدرية البشر- طبعة دار الآداب- بيروت ٢٠٠٦م.

(٢) الإرهابي؟: رواية عبد الله ثابت طبعة دمشق دار المدني ٢٠٠٦م.

(٣) السَّرد الرائي وتجربة المعنى: سعيد بنكراد صـــ١٢٣.

وطنك.

إن حضور هذا الآخر صوّرته الكاتبة والروائية اللبنانية "أتيل عدنان" عبر سرد حقيقي واقعي بلغة الآخر، دارت أحداثه على أرض لبنان، سجلته في روايتها "الست ماري روز[١]" هذه البطلة الحقيقية غير المتخلية، والتي وقفت بجانب المحرومين والمقهورين، وساندت الفلسطينيين بالمخيمات، وهو ما أغضب اليمين الكتائبي الذي رأى في خروجها على القطيع الطائفي المتطرف خيانة لا تغتفر، فخطفت وقتلت بيد أبناء جلدتها ووطنها وعقيدتها!!!.

والرواية على الرغم من أنها تصور المجتمع اللبناني في فترة الحرب الأهلية في ظل انهيار القيم الإيمانية والإنسانية تحت وطأة حرب شرسة كما وصفها الناقد الدكتور مصطفى عبد الغني – فإذا القتل يصبح بديلا للتقارب الإنساني واستعراض القوة والفتك كما تفعل المليشيات جزء من الحرب على الإنسان[٢]..إلا أننا سنتوقف عند المشهد الذي يتمظهر فيه الآخر/ المسيحي العربي المتعصب ضد أخيه العربي المسلم، فذلك هدف وموضوع الدراسة.

نطالع هذا الصراع الذي افتقد الوعي الإنساني العربي في ذلك التصوير الفني البارع للروائية "أتيل عدنان" في الجزء الثاني من الرواية لهذا الآخر/ المغاير للذات العربية، المعادي – كما نعيش الآن– لعقيدتنا عبر أصوات مختلفة، وصور عديدة من التفكير العدواني المتعصب كما يظهر من هذا المشهد الذي تُحاكم فيه البطلة/ ماري روز:

"منير وهذه المرأة، نظرا إلى بعضهما البعض من دون بُغض/ لا أفهم/ مسيحية وانتقلت إلى المعسكر الإسلامي، لبنانية، وانتقلت إلى المعسكر الفلسطيني. المسألة بسيطة. علينا كأيّ عدو آخر، أن نقضي عليها.

أُدعى "طوني" ولن أُدعى أبدا محمّدًا. واضح هذا الأمر وحتميّ كتعاقب

---

(١) الست ماري وز: رواية/ أتيل عدنان– ترجمة حيروم شاهين– طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة– مصر ٢٠٠م.

(٢) راجع هنا للمزيد: الاتجاه الإنساني في الرواية العربية: د/ مصطفى عبد الغني من صـــ١١٩: صـــ١٢٥، حيث تحدث عن تعصب ذلك الآخر/ المسيحي المتعصب من أخيه العربي المسلم في الوطن الواحد مما يُمثل غيابا للوعي في النزعة الإنسانية العربية.

الساعات. ومهما يُقال تبقى إرادة الجماعة هي المطلقة. شبان الحيّ المسيحي[١]، نحن، وميليشيتنا في حرب مع الفلسطينيين. هم مسلمون. نجحنا إذن في حرب ضد الإسلام، خاصة عندما يعترض سبيلنا. لو كنا عشرة عقبان ضد عشيرة نسور لكان الأمر سيان. ليس من مساجين في مثل هذه الحرب. ولا شيء للأخذ. هكذا يجب محوهم. هذه المرأة كلبة. وعلى منير ألاّ ينظر إليها كما ينظر إلى إنسان عادي[٢]".

وتزداد الصورة بشاعة مع ذلك المشهد المأساوي وارتفاع حدّة فظاظة هذا الآخر/ وتعصبه المسيحي الأعمى – يجسد هذا الحوار مع البطلة/ ماري روز، والراهب المسيحي المُحاكِم! "أتساءل لماذا أجبروني على حضور هذه المحاكمة، أنا الراهب والفلاح، ماذا فعلت هذه المرأة؟

يا ابنتي/ يا ماري روز/ هل تذهبين إلى القُدَّاس؟

- كَلاّ

- ألست شيوعية؟

- كلاّ

- إذن لماذا أوقفوك؟

---

(١) هذه الأحياء المسيحية في لبنان وصفتها الكاتبة اللبنانية بهذا الوصف الذي يُجسد مدى تعصبهم وقساوتهم على المسلمين، تقول: "الأحياء المسيحية أكثر أوروبية، وبالتالي أكثر فاعلية في الجريمة، فيها شيء من القساوة التي تقربها من بعض أحياء نيس ومرسيليا التي يقطنها الأوربيون من أصل جزائري.." لا تعليق وأنا المسلم!! انظر: الست ماري روز: أتيل عدنان صـــ٢٧.

(٢) المرجع السابق صـــ٣٨، ٣٩.

- لأني ملتزمة في صفوف المقاومة الفلسطينية[١].

ومع نجوى الذات الملتاعة نقرأ هذا المشهد الدموي للآخر/ البطل المسيحي المتعصب:

"..نهار الأحد، في الجبل، يقطعون رأس الخروف على الرصيف، يسلخون أحشاءه ليأكلوه جلده، فتجري ساقاه صغيرة قذرة. ألا يفعلون الشيء نفسه بالمسلمين الفلسطينيين. ويُقال إنّ المسلمين والفلسطينيين يفعلون هم أيضا.."

"ويختلط الشعور بالآخر بعدة مشاعر: العقيدة، الطبقة الاجتماعية، الفطرة الإيديولوجية، التخلف الفكري، اختلاط الوعي، الكراهية والتعصب.. إلى آخر هذه المسميات التي تخلق الآخر/ المعادي في المتخيل المريض/ إن الصورة التي أصبحنا تجاهها نقرأ مع نجوى الذات[٢] على هذا النحو:

الحرب الصليبية التي كنت أظنها مستحيلة، حصلت بالفعل، لكن ليست هذه حقا دينية، إنها جزء من الحروب الصليبية الكبرى الزاحفة نحو الفقراء، يقصفون أحياء المحرومين لأنهم يعتقدون أن هؤلاء هم مرض خبيث سوف يأكلهم، يقاتلون كي يُوقفوا زحف المدّ، مدّ الذين خسروا كُلَّ شيء، أو لكونهم ما ملكوا شيئا قط، لم يبق لهم شيء يخسرونه. وهكذا فإنهم دفعوا بفقرائهم كي يقضوا على فقراء "الآخرين" لقد أفسدوا المحبة في قلب جذورها/ القدس هي الغائبة الكبرى،ي تلك المدينة التي أسسها الكنعانيون، أسلافهم منذ آلاف السنين، والتي مات فيها المسيح وقام[٣]، لم يدخلوها قط، ولا يعتزمون دخولها. القدس الروحية ماتت في زوجاتهم من أقربائهم، وتحت وطأة البغض، القدس لم تعد في خريطة الشرق الأوسط[٤].

ويتصاعد الغضب مع الآخر حتى يصل إلى ذروته مع هذا المشهد المرعب

---

(١) الست ماري روز: صـــ٤٣، ٤٤.

(٢) الاتجاه الإنساني في الرواية العربية: صـــ١٢٣.

(٣) هذا كلام الروائية. وهو يُخالف الحقيقة الإلهية التي نص عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا إِتباع الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ سورة النساء ١٥٧: ١٥٨.

(٤) الست ماري روز: صـــ٥١.

الذي يتكرر كثيرا حين يصبح العربي بالنسبة للعربي هو الآخر/ المعادي في زمن العداء السافر لبعضنا بعضا، زمن الكراهية والبغض والفتنة الطائفية والفتنة الإمبريالية.. ينقل ذلك هذا المشهد السردي الذي تصور فيه الروائية الراوية قسوة وبطش ذلك الآخر/ المسيحي المتعصب..

"هل ستتالون من هذا الرجل؟! يا لكم من قتلة! ستقضون عليه كقطيع ضباع، تمزقونه، وتنثرون عظامه! يا للقتلة! ها أنتم منذ عام تدخرون الجثث.. [١]". يفعل الآخر/ المسيحي المتعصب هذا بأخيه العربي المسلم؛ لأنه يؤمن بعداوته كما جاء في تصريح أحد قادتهم في حديثه مع البطلة "ماري روز..

"نحن في حالة حرب يا "ماري روز" باستطاعتك أن تُسميه حربا أهليه، أو حربا عشائرية، إلا أنّ رفاقنا يموتون. إذا انهزمت الجبهة المسيحية؛ فسيحتل الفلسطينيون بيوتنا و.. [٢]". إلى آخر ما تعكسه لنا هذه الصور التي تعكس الواقع المفزع للآخر/ المسيحي المتعصب. وصور أخرى نراها له في قتل المسلمين الأبرياء في أفريقيا "نيجيريا" ووقفته العدوانية اليوم في وجه الرئيس الأمريكي "أوباما" لوقف تنفيذ رغبة المسلمين في أمريكا في إنشاء مسجد بنيويورك[٣].

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(١) المرجع السابق صـــ٥٧.

(٢) عارض ٦٧% من الأمريكان موافقة الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" على إنشاء مسجد قريب من موقع أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهذا يعكس الخلفية المحتقنة بغضا للإسلام والمسلمين، تلك الخلفية التي يعززها إعلام صهيوني موجّه، وتعليم يُلقن الأطفال والشبيبة تاريخا مشوها للإسلام والمسلمين كتب في الأديرة والكنائس إبان العصور الوسطى ولما تزل أصداؤه في المناهج التعليمية الغربية بشكل عام. وينظر في تاريخ التعصب النصراني كُتبًا مثل:

- المسيحية والسيف وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الأسبان رواية شاهد عيان. تأليف المطران برتولمي دي لاس كازاس. ترجمة: سميرة عزمي الزين- منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
- كتاب قصة العقائد بين السماء والأرض للدكتور سليمان مظهر، لاسيما الفصل الذي تحدث فيه عن محاكم التفتيش.

وعلى هذا النحو فإننا أمام آخر يتمظهر بوجوه متنوعة لم تكن في خلدنا ونحن نخطو الخطوات الأولى في هذه الدراسة. آخر يعيش فينا وبيننا وكل غايته هو محو الجنس الإسلامي من على ظهر البسيطة. وعليه، فلم تعد القضية في النص وخارجه هي قضية الصراع ضد الآخر/ الذي يعيش معي، أو الآخر المستعمر لي، وإنما هو آخر يحمل سمة أخرى خطرة لا بد من الكشف عن معدنها مرة ومرة!! فلم يعد الشكل الخارجي وحده للشخصية المرسومة – في الأحداث الروائية- والحركات التي تأتيها بكافية لتعريفنا الشخصية، فما يدور بداخلها من أحاسيس، ويتولد في رأسها من أفكار، وما يخفق بقلبها من مشاعر أكثر أهمية في الكشف عن معدنها من المظهر الخارجي.. [١]".

إن "القضية الأساس في الرواية ليست لبنان تحديدا بل العالم كله، وليست الحرب الأهلية إلا نموذجا مصغرا في دوافعه وآلياته لحروب عالمية وصراعات كونية، و"ماري روز" ليست امرأة مسيحية ترفض الطائفية، وانحراف المتمسحين بالدين فحسب، بل هي الإنسان المقاوم في كل زمان ومكان الذي يرفض الغوغائية باسم المقدس، وبالتالي فالسّت "ماري روز" أقرب إلى دين المحبّة من الكثيرين من حاملي لافتاته[٢]" على صورة الأب "توم" القس النصراني الذي وقف بالمرصاد للشاب الداعية المسلم النيجيري "عثمان أمينو" والتآمر عليه لاغتياله.

وهذه الصورة للآخر/ المسيحي المتعصب الدموي نراها في رواية "عمالقة الشمال[٣]" للروائي المصري الدكتور "نجيب الكيلاني".. حيث يدور الصراع بين الآخر/ المسيحي- الأب "توم" وبين الشاب/

---

(١)القصة من خلال تجاربي الذاتية: عبد الحميد جودة السحار صـ٩٨- طبعة دار مصر- القاهرة- دت.

(٢)الست ماري روز: مقدمة الرواية صـ١٣ بقلم/ فريال جبوري غزول.

(٣)عمالقة الشمال: رواية د/ نجيب الكيلاني- الطبعة العشرون- الناشر كتاب المختار ٢٠٠٥م.

المسلم وكلاهما ينتميان إلى وطن واحد "نيجيريا" لكن المشكلة في هذا المسلم غير المرغوب فيه من المسيحي في كل مكان حتى في مصر الإسلامية.. مصر الأزهر/ التسامح والوسطية.

وليس ببعيد عنكم ما يُحاك اليوم ضد الكاتب المسلم المصري الدكتور "يوسف زيدان" صاحب رواية "عزازيل[١]" من الآخر/ المسيحي المصري المتعصب الذي تناسى أنه يعيش على أرض إسلامية يحكمها دستور إسلامي، وغفل أنه نشأ وترعرع وأطلق صيحاته العدوانية، وهو آمن على نفسه وزوجه وأهله وماله في كنف المسلمين، وتحت مظلة سماحة الإسلام. وصل هذا اللغط وذلك النباح ضد الروائي المسلم "يوسف زيدان" إلى ساحات المحاكم المصرية الآن، لذا سوف نرجئ الحديث عن هذه الرواية التي تأتي رفضا لهذا الآخر/ المسيحي المصري وتعصبه الممقوت- لحين الانتهاء من التحقيقات.

لكن يجب أن نعلم أن الرواية لم تتعد الحديث حول نشأة وتطور الصراع المذهبي بين الطوائف المسيحية في الشرق ليس إلا. كما أنها تؤكد قيم التسامح وتقبل الآخر/ أيّ آخر واحترام وتقدير الاختلاف، وترفض مبدأ العنف. ويكفيها شهادة ما قاله أحد رجالات الدين المسيحي في مصر في حقها:

يقول المطران "يوحنا جريجوريوس: "يوسف زيدان هو أول روائي مسلم، يكتب عن اللاهوت المسيحي بشكل روائي عميق. وهو أول مسلم يحاول أن يُعطى حلولا لمشكلات كنسية كبرى.. [٢]" وفي مقابل هذه الحلول يلقي المفكر والكاتب المسلم من الآخر/ المسيحي المتعصب العديد من التهديدات بالقتل، أو التشريد بعيدا عن الوطن كالداعية المسلم "عثمان أمينو" في "عمالقة الشمال[٣]" كما تروي الأحداث.

---

(١)عزازيل: رواية د/ يوسف زيدان- طبعة ١٦- دار الشروق- القاهرة- مصر ديسمبر ٢٠٠٩م.

(٢) المرجع السابق: الغلاف الأخير للرواية.

(٣) راجع ما كتب عنها في:

- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني: د/ حلمي القاعود - طبعة أولى- دار النشر-عمان- الأردن ١٩٩٦م.

فأحداث هذه الرواية تدور في فترة زمنية حافلة بالأحداث بقطر إسلامي عريق "نيجيريا" وهي الفترة ما بين عام ١٩٦٥م وعام ١٩٧٠م، حيث شهدت "نيجيريا" مدًّا تنصيرياً هائلاً حاول أربابه أن يُغيروا الملامح الإسلامية فيها بمساعدة العصابات المسلحة التابعة للمنصرين هناك.

يروي البطل المسلم النيجيري/ عثمان أمينو قصة حياته مع الدعوة الإسلامية في بلاده وصراعاته مع الآخر/ المسيحي المتعصب، وملخصها أن: عثمان أمينو شاب نيجيري يُنسب إلى قبائل الهوسا المسلمة، له جذور عربية في صعيد مصر، كان داعية من الدعاة الإسلاميين، وتلميذا للشيخ عبد الله. كانت تجربته الأولى التي وضعته وجها لوجه أمام التحديات مع الآخر/ المسيحي على يد صديقه "تور" الذي اقتاده إلى السينما حيث التقى "جاماكا" التي تنتمي إلى قبائل "الإيبو" المُتنصّرة المتعصبة. وقد تعلّق بها، وتعلّقت به، ولكنه فرّ إلى دينه وإلى شيخه عبد الله، ثم انطلق في رحلة تجارية إلى "لاجوس" العاصمة حيث باع غنيماته وبدأ ينشر الدعوة في قرى الجنوب بتوجيه من شيخه "عبد الله" مصطحبا معه صديقه "عبد الرحيم" وهناك يحدث الصدام مع الآخر/ المسيحي حيث يلتقي الأب "توم" القس النصراني الذي يُحاول عرقلة دعوته في الجنوب النيجيري. ويقوم بالتآمر عليه لاغتياله، ولكنه يفشل، وحينما يلقي أمير القرية القبض عليه ويَهمّ بمعاقبته يعفو عنه "عثمان المسلم" الأمر الذي يُثير إعجاب الأمير ويشهر إسلامه هو وأبناء قريته بفضل سماحة الإسلام وعفوه.

في هذه الأثناء تتمكن حركة "إيروسي" من اغتيال الزعيم "أحمدو بيللو" حيث سيطرت عصابة المتنصرين المسيحيين العسكرية على الحكم، وكان نصيب "عثمان" الدخول في السجن، ثم جاءت "جاماكا" لزيارته بعد أن اعتنقت الإسلام، وما هو إلا وقت قصير حتى قامت حركة مناوئة أطاحت بالنظام العسكري الحاكم، وتمّ الإفراج عن "عثمان" ورفاقه لينتصر الحق، ولكنه انطلق إلى الجنوب يبحث عن "جاماكا" التي أصبح اسمها "سعيدة". والتحقت به كممرضة حتى نشبت الحركة الانفصالية في "بيافرا" ثم تتحرر "بيافرا" وتعود الأمور إلى طبيعتها. وإن كان الصراع قد احتدم اليوم بين الأنا النيجيري المسلم/ والأنا النيجيري المسيحي المتعصب وصل إلى إبادة قرى مسلمة عن بكرة أبيها.

- في الأدب الإسلامي قضاياه وفنون ونماذج منه: د/ محمد صالح الشنطي- طبعة ثالثة- دار الأندلس للنشر والتوزيع- حائل السعودية ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

و ختاماً..

كما يؤكد المشهد الروائي العربي مما توقعنا في هذه الدراسة عند حدود بعض منه لا بد من استحضار هذه الصورة أمامنا دائما، وهي أن الغرب سوف يظل قدرنا، لا ينبغي تجاهله أو إغفاله. وفي الوقت نفسه لا بد من الاعتراف بأنّ الصدام مع الآخر/ الغرب.. الصوت الصدى .. خارجيا.. داخليا.. محتلا مهيمنا، حداثياً ليبرالياً أيّا كان صورته ليس من مصلحتنا، ومقاطعته يعني غياب الوعي العربي بهذا الآخر/ عبر المنظور الثقافي/ أو الحضاري/ أو الفكري الذي يظل من أهم معوقات حركة تفعيل الوجود العربي وسيادته..

إذن مقاطعته لا جدوى من ورائها سوى تراجع وتقهقر في المحيط العربي أكثر مما هو متراجع اليوم- عن ركب الحضارة والتقدم العلمي الذي نشهده من حولنا. وبالتالي إخفاقه في التكيّف مع هذه الثورة المعلوماتية التي علينا جميعا أن نتفاعل معها بما يفيد مجتمعاتنا، وبما يتفق مع عقيدتنا وتقاليدنا، وفكرنا وثقافتنا.

ولا سبيل إلى التعامل مع هذا الآخر إلا بالحوار، ومحاولة إيجاد القواسم المشتركة بيننا وبينه لتكوين قاعدة دولية متينة للتعايش مع أصحاب العولمة التي تُمثل اليوم أعلى درجة من درجات هيمنة الآخر، ولتكون أساسا للانطلاق نحو إعمار هذه البسيطة ضمن أُطر التعايش الإنساني الذي يقوم على التواصل و الحوار العلمي/ الفكري/ الإنساني مما يعدو طوق النجاة لنا. وهو ما ألح عليه الكاتب الإماراتي محمد خليفة في روايته (أسوار الظلام)..

فنراه يغوص فيها بعمق في النفوس العميقة ويتوغل في خبايا العقل البشري، رغبة منه في التواصل الإنساني المفتقد، ويمد يده ليحقق الرابط الاجتماعي المتمزق بفعل مستجدات العقل التكنولوجي. حيث يلهث وراء التفاصيل الصغيرة والدقيقة في حياة أبطاله ليشغل قراءه بهموم الآخرين، وهي انشغالات من شأنها أن تحقق الرغبة لدينا في الاتصال بالآخر، و هي في آن بمثابة طوق النجاة لانتشالنا من دائرة (الأنا) المنكفئة علي نفسها.

وهو نفس الهدف الذي ذكره الكاتب في مقدمة روايته:(إننا نفكر بالقضية والعادة في الخير الأعلى لتحقيق الغاية النهائية والكاملة لعمل الخير والتي هي السعادة للإرادة

المستقلة عن جميع أسباب العالم العرضية) [١]. من هنا جاء هذا الإصدار(رواية أسوار الظلام)_ لأجل أن يظل القلب الإنساني نابضاً بماءات الحياة، وقادراً علي العطاء والحب والجمال بغية الوقوف علي أمكنة الجرح في كل موضع ألم.. الأمر الذي يلزمنا أن نحدد مساحات الوجع فنقترب منها ونتصفحها، ونلتحم معها و نراها بثقة و عمق، ونحقق قراءتنا الصحية الواعية دون موارة أو تغطية . وهنا يبدأ الحوار المجدي.

وحتّى يكون لنا ذلك الحوار الفاعل المجدي مع هذا "الآخر/ الغرب فإن ثمّة شرطين لا بد من توافرهما وهما: النّدّيّة والمساواة، ونزيد عليهما استقلال الشخصية ونزاهة المقصد.

أما ما يشترط في المحاور قبل أن يفهم الآخر ويحاوره عليه أن يفهم ذاته أولا، وينتمي إلى أفكاره بحيث يصبح هذا المحاور فكرا متحركا، مدركا لماضيه وحاضره، مفتخرا بحضارته وتراثه، واعيا عارفا برسالته ودوره في هذا الوجود، مُعتدا فكره وثقافته وإبداعه. وهو ما يتطلب منا – كما ذكرت من قبل– أن تكون علاقتنا بالتراث وعيا علميا، وسلاحا معرفيا، يتحول إلى قوة مادية من قوى التغيير في حياتنا المعاصرة، وفي صراعنا الحضاري والوجودي مع الآخر.

---

(١) الأربعاء: ٢من ذو القعدة١٤٣٠هـ-٢١/١٠/٢٠٠٩ صـ ٩.

مصادر البحث ومراجعه

(١) الاتجاه الإنساني في الرواية العربية: د/ مصطفى عبد الغني- طبعة مؤسسة اليمامة الصحفية- الرياض- السعودية- ١٤٢٦هـ=٢٠٠٦م.

(٢) الاتجاه القومي في الرواية: د/ مصطفى عبد الغني – طبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- صفر ١٤١٥هـ=أغسطس ١٩٩٤م.

(٣) الأدب وفنونه: د/ عز الدين إسماعيل – الطبعة الثامنة- دار الفكر العربي- القاهرة- دت.

(٤) الإرهابي ٢٠ : عبد الله ثابت – طبعة دمشق – دار المدى سنة ٢٠٠٦م.

(٥) استقبال الآخر في النقد العربي الحديث: د/ سعد البازعي – الطبعة الأولى- المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء- المغرب. بيروت- لبنان سنة ٢٠٠٤م.

(٦) أسرار صاحبة الستر: إبراهيم درغوثي- طبعة دار صادر- تونس ١٩٩٨م.

(٧) أمريكانلي (أمر كان لي): صنع الله إبراهيم- طبعة أولى- دار المستقبل العربي سنة ٢٠٠٣م.

(٨) البعيدون: بهاء الدين الطود- الطبعة الأولى- منشورات دار الهلال- القاهرة- دت.

(٩) تجربة البحث عن أُفق: إلياس خوري- منظمة التحرير الفلسطينية- مركز الأبحاث- بيروت- لبنان- سنة ١٩٧٤م.

(١٠) تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير) : د/ سعيد يقطين – الطبعة الرابعة- المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب- ٢٠٠٥م.

(١١) جانجي: طاهر أحمد الزهراني- طبعة دار رياض الريس- لندن سنة ٢٠٠٧م.

(١٢) الحي اللاتيني- سهيل إدريس – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث- بيروت – سنة ١٩٧٤م.

(١٣) الخروج من التيه.. دراسة في سلطة النص د/ عبد العزيز حمودة – طبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت – سلسلة عالم المعرفة- العدد رقم ٢٩٨- نوفمبر سنة ٢٠٠٣م.

(١٤) دراسات في الأدب العربي الحديث: د/ محمد مصطفى هدّارة- الطبعة الأولى- دار العلوم العربية- بيروت- لبنان- ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

(١٥) دراسات في القصة العربية الحديثة: د/ محمد زغلول سلام- طبعة منشأة المعارف – الإسكندرية- مصر – سنة ١٩٨٧م.

(١٦) دراسات في نقد الرواية- د/ طه وادي- طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة سنة ١٩٨٩م.

(١٧) الدراويش يعودون إلى المنفى: إبراهيم درغوثي- طبعة دار رياض الريس- لندن سنة ١٩٩٢م.

(١٨) دليل الناقد العربي: د/ ميجان الرويلي، د/ سعد البازعي- الطبعة الثالثة- المركز الثقافي العربي- بيروت- سنة ٢٠٠٢م.

(١٩) الرواية السعودية واقعها وتحولاتها: د/ حسن النعمى – الطبعة الأولى- وزارة الثقافة والإعلام السعودية- الرياض- سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

(٢٠) الرواية العربية.. الأبنية السردية والدلالية: د/ عبد الله إبراهيم- طبعة أولى- مؤسسة اليمامة الصحفية- الرياض- سنة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

(٢١) الست ماري روز: أتيل عدنان- ترجمة حيروم شاهين- طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة – مصر- أغسطس ٢٠٠٠م.

(٢٢) السرد الروائي وتجربة المعنى: سعيد بنكراد- الطبعة الأولى- المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب سنة ٢٠٠٨م.

(٢٣) السرد العربي القديم.. الأنواع والوظائف والبنيات: د/ إبراهيم صحراوي- الطبعة الأولى- الدار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف- الجزائر- سنة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

(٢٤) السنيورة: عصام خوقير- جدة – تهامة سنة ١٤٠١هـ= سنة ١٩٨٠م.

(٢٥) شرق المتوسط: عبد الرحمن منيف – الطبعة الثانية عشرة- المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٩٩م.

(٢٦) صنعة الرواية: بيرس لوبوك- ترجمة عبد الستار عبد الجواد- الطبعة الثانية- دار مجدلاوي للنشر والتوزيع- عمان سنة ٢٠٠٠م.

(٢٧) صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية.. رؤية ثقافية جمالية: د/ منصور المهوس- الطبعة الأولى- مؤسسة اليمامة الصحفية- الرياض- سنة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

(٢٨) عزازيل: د/ يوسف زيدان – الطبعة السادسة عشرة- دار الشروق- القاهرة- مصر ديسمبر سنة ٢٠٠٩م.

(٢٩) عمالقة الشمال: د/ نجيب الكيلاني- الطبعة العشرون- الناشر- كتاب المختار – القاهرة- سنة ٢٠٠٥م.

(٣٠) فن كتابة الرواية: ديان دوات فاير- ترجمة د/ عبد الستار جواد – الطبعة الأولى- دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- سنة ١٩٨٨م.

(٣١) في الأدب الإسلامي.. قضاياه وفنونه ونماذج منه: د/ محمد صالح الشنطي- الطبعة الثالثة- دار الأندلس للنشر والتوزيع- حائل- السعودية- سنة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

(٣٢) قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة: كمال عبد اللطيف- طبعة دار الطليعة- بيروت – سنة ١٩٩٤م.

(٣٣) القصة من خلال تجاربي الذاتية: عبد الحميد جودة السحار- طبعة دار مصر- القاهرة- دت.

(٣٤) القيامة الآن: إبراهيم درغوثي- الطبعة الأولى- دار الحوار- اللاذقية- حلب- سوريا- سنة ١٩٩٤م.

(٣٥) لحظة ضعف: فؤاد صادق مفتي- جدة- تهامة- سنة ١٩٨١م.

(٣٦) مخيم يا وطن: دعد رشراش الناصر- الطبعة الأولى- رابطة الأدب الإسلامي العالمية- مكتب البلاد- الرياض- الناشر العبيكان- السعودية سنة ١٤٣١هـ=٢٠١٠م

(٣٧) مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي: د/ عبد الله بن سليم الرشيد- الطبعة الأولى- نادي القصيم الأدبي- بريدة- السعودية- ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

(٣٨) المرأة والوردة: محمد زفزاف- منشورات جافوري- بيروت- لبنان- سنة ١٩٧٢م.

(٣٩) معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي – الطبعة الأولى- التعاضدية العمالية للطباعة والنشر- تونس- سنة ١٩٨٦م.

(٤٠) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، وكامل المهندس- الطبعة الثانية- مكتبة لبنان- بيروت- ١٩٨٤م.

(٤١) مكاشفات البحر الميت: أحمد محمد عبده- الطبعة الثانية- دار الإسلام للطباعة والنشر – القاهرة سنة ٢٠٠٨م.

(٤٢) مواقف وقضايا أدبية: سهيل إدريس- الطبعة الأولى- دار الآداب- بيروت- ١٩٧٧م.

(٤٣) موسم الهجرة إلى الشمال: الطيب صالح- روايات الهلال- القاهرة- مايو سنة ١٩٦٩م.

(٤٤) نحن والثقافة.. تأملات في مجالنا الثقافي ومستقبلاته: زكي الميلاد – الطبعة الأولى- مؤسسة اليمامة الصحفية- الرياض- سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

(٤٥) النص الأدبي من منظور اجتماعي: د/ مدحت الجيار- طبعة دار الوفاء- الإسكندرية-مصر- سنة ٢٠٠١م.

(٤٦) النقد الأدبي الحديث: د/ محمد غنيمي هلال- طبعة دار الثقافة- بيروت- ١٩٧٣م.

(٤٧) النقد التطبيقي التحليلي: د/ عدنان خالد عبد الله- الطبعة الأولى- دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد ١٩٨٦م.

(٤٨) هند والعسكر: بدرية البشر- طبعة دار الآداب- بيروت- ٢٠٠٦م.

(٤٩) الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني: د/ حلمي القاعود- الطبعة الأولى- دار النشر- عمان- الأردن- سنة ١٩٩٦م.

الصحف والمجلات:

(٥٠) الأربعاء: عدد ٩ من شعبان ١٤٣١هـ- ٢١ من يوليو سنة ٢٠١٠م- جريدة ثقافية تصدر يوم الأربعاء من كل أسبوع عن مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر- السعودية.

(٥١) جريدة الجزيرة السعودية: العدد ١٣٢٩٣- الخميس ٢٤ صفر سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

(٥٢) جريدة الرأي: العدد ١٣٤٧٩- الثلاثاء ٢٨ من أغسطس سنة ٢٠٠٧م.

(٥٣) جريدة الشرق الأوسط: العدد ١١٣٧٠- ٢٨ من المحرم ١٤٣١هـ=الخميس ١٤ من يناير سنة ٢٠١٠م.

(٥٤) جريدة عكاظ: العدد ٢٨٦٧- ٢٧ من ربيع الآخر ١٤٣٠هـ- الخميس ٢٣ من إبريل ٢٠٠٩م.

(٥٥) مجلة أدب ونقد- القاهرة- عدد مايو- سنة ١٩٩٠م.

(٥٦) المجلة العربية: العدد ٣٨٢ السنة ٣٣- ذو القعدة سنة ١٤٢٩هـ=نوفمبر سنة ٢٠٠٨م- السعودية.

(٥٧) مجلة رؤى: العدد الخامس عشر- ذو القعدة ١٤٢٨هـ=ديسمبر ٢٠٠٧م.

تم بحمد الله